

المصفاة

مجلة

المجلد السادس

الجزء الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المحكمة

يعزى الحكمة من بقاء ومن يموت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الثلاثاء غرة رجب سنة ١٣٢١ — ٢٢ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٣)

الكرامات والحوارق

(المقالة الثامنة عشرة في انواع الحوارق وضروب التأويل والتعليل)

النوع الثاني عشر امسك اللسان عن الكلام وانطلاقه

لم يذكر السبكي أمثلة لهذا النوع ولو ذكر شيئاً منها لوضح الحق من خلاله أشد من وضوحه بالبحث فيه من غير ذكر للوقائع التي سماها كرامات وحوارق عادات. والظاهر أنه يعني بامسك اللسان وانطلاقه أن بعض الناس يحضر مجلس الرجل الصالح فيريد الكلام فيحصر وتأخذ الحبسة لسانه لما يروه من الهبة والاجلال ثم يزول ذلك بالانس أو المباشطة. وهذا أمر يقع كل يوم من المعتقدين مع الصالحين ومن الرؤسيتين مع الرؤساء ومن افراد الرعايا المهضومين مع الامراء. وما يقع منه

بين رجال الأديان ومن يعتقد رياستهم الروحانية من المقلدين كثير في كل أمة وملة ولكن كل فريق يعد هذا مزية له وكرامة من كراماته يجهل حال الآخر اذا المارف بأحوال الملل وشئون الناس لا يفتر ولا يستسلم للتصارى وأهلها فالآفة الكبرى هي الجهل والجهل سياج الدجالين ولذلك تراهم في كل ملة يمدون العلم وينهون عنه ويزعمون أنه حجاب دون الدين ؛ ومفسد لعقائد المؤمنين ، ويصدقهم في ذلك الجاهلون، ويتعصبون لهم على الذين يعلمون والذين تعلمون.

النوع الثالث عشر جذب القلوب النافرة ❦

لم يذكر السبكي لهذا مثالا أيضا وهو نحو الذي سبقه وأضعف منه فان كثيرا من أهل الشهرة ما نالوا شهرتهم الا بجذب القلوب وذلك أن في كل صنف من الناس من له هذه الخاصية فهم من يختلب القلوب بمهاتته ، ومنهم من يسحر الألباب ببلاغته ، ومنهم من يستحوذ على النفوس بقوة روحه وتوجيه ارادته ، ومنهم من يجذب بعض البسطاء بزيه وشارته ، وقد رأيت بعيني كثيرا من الناس ناقين على رجل من أهل الفضل مشكرين عليه نافرين منه مسيئين الاعتقاد به وقد حضروا مجلسه واحدا بعد واحد وما منهم الا وقد انجذب قلبه اليه وامتلا هية وإعظاما له وصار من المتعصبين له اللاهجين بالثناء عليه . والسبب في ذلك ان النفور الأول كان لسوء ظن أحده سماع كلام الحاسدين ولما شاهدوا الرجل رأوه بالضد مما كانوا سمعوا رأوا فضلا كبيرا وعلماء واسما وأمارات تنطق بحسن القصد واخلاص القلب من حيث كانوا يتوهمون خلاف ذلك فتحولت قلوبهم مرة واحدة . فهل نقول ان هذا من باب الحوارق ونظمه في سلك الكرامات والسبب فيه معروف والملة ظاهرة ؟

حسب العاقل دليلا على فتنة الناس بمسألة الكرامات ان يري العالم الاصولي منهم (كالتاج السبكي) يمد ميل القلب الى شخص بعد النفرة منه كرامة له ، كأن الفتنة قد سحرت النفوس وأفسدت العقول وأعمت الابصار وأصمت المسامع وساوت بين العالم والجاهل والذكي والغبى في عدم التمييز بين المعتاد وخرق المادة والنفلة عن الوقائع المتشابهة المتماثلة في مثل هذا الامر التي تقع لمن يعتقدون كرامتهم ومن يعتقدون كفرهم أو ابتداعهم . وفي طبقات السبكي كثير من هذه الوقائع يحكيها هو والمؤرخون

عن زعماء الفتن، ودعاة البدع، ومؤسسي المذاهب الباطلة، والطرق المعوجة الملتوية، وما رأيت في التاريخ أشد جذباً للنفوس، وتلاعباً بالعقول من رجال طوائف الباطنية فلقد كانوا يفعلون بالأبواب ما لا تفعل الحجر، ويؤثرون في النفوس ما لا يؤثر عن فعل السحر، فان قال قائل: ان جذب أئمة الكفر وزعماء البدع قلوب بعض أتباعهم أو بعض الضعفاء المستمدين لقبول ضلالتهم هو من باب الاستدراج والاملاء ليسترسوا في غيهم حتى يأخذهم الله تعالى بالانتقام في الدنيا أو بالموت الذي يسوقهم الى الانتقام في الآخرة. وأما أولياء الله تعالى فانهم يجذبون القلوب الى الحق ويؤثرون فيها تأثير الخير النافع وبهذا كان جذبهم من الكرامة دون جذب غيرهم

ونقول في الجواب اننا نعلم بان ما ذكرتم يصح ان يعد كرامة اذا سلمتم معنا بان الكرامة ليست من الخوارق الحقيقية وانما هي من الخصائص الشريفة الثافعة فإن أمراً يعقل سببه وتعرف علته ويقع من جميع أصناف الناس ومن أهل كل ملة ودين لا يصح للعاقل ان يجمله من خوارق العادات التي تأتي على غير النظام المهود والسنن المطردة. ولكم بعد ذلك ان تأولوا ما يقع من ذلك للصالحين من أهل الملل الأخرى فإنه يوجد في كل أمة الصالح والعالج كالأخفي على المتصف الخير

وانا نتمم الكلام في هذين النوعين - المهابة التي تمنح الكلام وجذب القلوب - بشيء من العبرة بما كان لرؤساء الباطنية من الاحترام الروحي في نفوس أتباعهم ولم يصل الصوفية الصادقون الى مثل ذلك. قال المؤرخون: ان الحسن بن الصباح زعيم الامهالية قد استهوى قلوب أتباعه واستحوذ على نفوسهم حتى كانوا يطيعونه في السر والجهر ولو بما يذهب بأرواحهم. ولقد كان من أمره لما أرسل السلطان يطلب منه الطاعة ان دعا قراً من أتباعه وقال لأحدهم اقل نفسك ففعل بدون توقف ولا تردد وقال لآخر: ارم نفسك من هذا الحصن: فرمى بنفسه ومات. ثم التفت الى رسول السلطان وقال له: قل لمولائك هكذا يطيعني سبعون الفا من الرعايا الامناء: فن كان هذا شأنه وهذه منزله في نفوس أتباعه فكيف تكون مهابته في نفس من يحضر مجلسه وكيف يكون انجذاب القلوب المعتقدة بفضله أو المستعدة لقبول تعقيده اليه ونحوها عليه ؟؟

الصوفية الذين ينقل عنهم جذب القلوب والتسلط على نفوس المجالسين بالهيبه والوقار كانت سيرتهم على مقربة من سيرة زعماء الباطنية بل هم فرقة منهم وتأثيرهم من نوع تأثيرهم فالمؤرخ لا يكاد يفصل بين هذا وهذا الا بالانتماء للمذاهب المعينة كالاسماعيلية وغيرهم وأما كلامهم في الدين وتفسيرهم للقرآن والحديث فانه متشابه لانهم يقولون فيه أقوالا تنكرها اللغة وأساليبها وتأباهاسيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وحجة الفريقين فيها واحدة وهي الاطلاع على الحقائق الخفية، والوقوف اسرار الدين الروحانية، وقد سلم الناس لهم بذلك تسليما لاسيا بعد موت العلم بحمل الناس على التقليد وحظر الاخذ بالدليل عليهم فمن لا دليل له يسلم لكل من يعظم الناس أمره . وما رأيت في أمر الذين يسمى صنفهم صنف علماء الدين أعجب من تسليمهم هؤلاء الباطنية الذين يدعون الولاية كل ما يقولونه وان لم يوافق تقاليدهم فهم يسلمون لهم القول المخالف بغير دليل ومحجرون على غيرهم المخالفة بالدليل . وانت تعلم ان مبنى علومهم كلها على الكشف وسيأتي الكلام عليه مفصلا في النوع الرابع عشر ولذلك جعلنا هذه المقالة مختصرة حتى تتمكن من جمل الكلام في الكشف في جزء واحد هذا - وقد كنت قرأت في بعض الجرائد ان رجلا دخل على أحد علماء الكهروباة وهو في عمله وبين يديه الآلات والبطاريات فحدث في الكهروباية تأثر بدخوله لم يبق في ذهني ما هو ذلك التأثر الذي شوهد في الآلات فقال المالم للرجل أقبل فأقبل ثم قال له أدير فأدير فكان التأثر باقباله غير التأثر بادباره اذ كان أحدها في الكهروباية الايجابية والآخر في السلبية وكان لقربه أشد التأثير. فاذا صحة الرواية فلا بد ان يكون هذا الاكتشاف مفتاحا لمعرفة أسرار كثيرة كسر الحب والبغض والتأثير في النفوس فان في كل أحد كهروباية ويظهر انها في بعض الناس أقوى منها في بعض فلا عجب ان كان صاحب الكهروباية القوية يؤثر في صاحب الكهروباية الضعيفة وان يكون لتوجيه الارادة والهمة عملا في قوة التأثير ولا مانع من أن يكون لاختلاف الكهروباية في الشخصين شأن في الحب والبغض فقد يبصر الانسان الجمال البارع في شخص ويمقته بلا سبب ظاهر مع اعترافه بجماله وقد يعشق ولا جمال . ومن الناس أفراد يستقلهم كل أحد وأفراد يحبهم كل من عرفهم ويعبر الناس عن سبب الحب في هؤلاء بالجاذبية يقولون فلان

ذوق جاذبية وفلاحة ذات جاذبية ويصفونهم بخفة الروح وخفة الدم . ومن الناس من يهابهم كل من يجالسهم وان كان من أقرانهم واهل للكهربائية أثر في كل ذلك تظهره الايام ويكشفه العلماء . فأين حديث الخوارق الكونية ، من هذه العلل الطبيعية ، ولا يهولن القارى تأثير الانسان في الآلات الكهربائية فقد ثبت ان للسانير تأثيرا عجيبا فيها تنهبوا الى هذا حين ثبت ان قطا وقف على سلك من أسلاك المسررة (التليفون) فأبطل عمله . فان قلت انه متأثر فيه الا باتصاله به فكيف يؤثر الانسان في كهربائية لم يتصل بآلاتها ؟ أقول لا يبعد ان ينتقل التأثير بواسطة كهربائية الجو أو الهواء أو الاثير ونحن في عصر يخاطب الناس فيه بالكهربائية من غير واسطة الاسلاك وهو ما يسمونه (تلغراف ، اركوني) فهل يليق بأهل هذا العصر ان يقلدوا الميتين من بضع مئين من السنين أو أكثر في مزاعم غريبة عن العتمل غير قريبة من الشرع ، ويقولوا مع ذلك ان عقولهم أرقى من عقولنا ، وعلومهم أغزر من علومنا ، كلا انما يرضى بهذا من احتقر نعمة الله على أهل عصره ، وسجل الخزي والحسار على نفسه ، فانكر كرامة الله له ليثبت كرامته لآخرين ، وخسر مجده الدنيا والآخرة وذلك هو الحسران المين

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة

لما نشرنا تلك المحاورات بين المصلح والمقلد في بحث الاجتهاد والتقليد ووحدة الامة الاسلامية في المجلدين الثالث والرابع من الماركب التنابعض الفضلاء من قراء المنار في البحرين يسألنا : هل اطلعتم على كتاب اعلام الموقعين للإمام ابن القيم ؟ فأجيبناه اننا لم نطلع عليه ولكننا رأينا في بعض الكتب نقلا عنه عرفنا به مكاتبه . فكتب لنا ثانيا ان فيه مناظرة بين مقلد وصاحب دليل كالمناظرة التي نشرتموها واتنا سنرسل اليكم نسخة منه ولم يابث ان أرسلها وكانت مقالات المحاورات قد تمت . وقد رأينا الآن ان نشر هذه المناظرة أيضاً لأن هذا المبحث أهم المباحث والاجتهاد ركن من أركان الاصلاح بل هو أقوى أركانه . ولقد أورد المصنف شبه المقلد كلها سردا ثم ذكر حجج متبع الدليل الناهضة والناقضة لاقوال المقلد وشبهه واحدة بعد واحدة ولذلك ترك شبهات المقلد خشية التكرار وابتدئ بالحجج فنقول : قال المؤلف رحمه الله تعالى ونقننا به :

(قال أصحاب الحججة) عجبا لكم معاشر المقلدين الشاهدين على أنفسهم مع شهادة أهل العلم بأنهم ليسوا من أهله ولا معدودين في زمرة أهله كيف ابطلم مذهبكم بنفس دليلكم فما للمقلد وما للاستدلال وأين منصب المقلد من منصب المستدل وهل

ذكرتم من الأدلة الاثباتية استمرتموها من صاحب الحججة فتجملتم بها بين الناس وكنتم في ذلك متشبهين بما لم تهطوه ، ناطقين من العلم بما شهدتم على أنفسكم أنكم لم تؤنوه، وذلك ثوب زور لبستموه، ومنصب لستم من أهله غصتموه، فأخبرونا هل صرتم الى التقليد لدليل قادم اليه، وبرهان ذلكم عليه ، فنزلتم من الاستدلال أقرب منزل، وكنتم به عن التقليد بمنزل، أم سلكتم سبيله اتفاقاً وتحميماً من غير دليل، وليس الى خروجكم من أحد هذين القسمين سبيل، وأيهما كان فهو بفساد مذهب التقليد حاكم، والرجوع الى المذهب الحججة منه لازم ، ونحن ان خاضناكم بلسان الحججة قلتم لنا لسنا من أهل هذه السبيل، وان خاطبناكم بحكم التقليد فلا معنى لما قلتم من الدليل، والعجب ان كل طائفة من الطوائف وكل أمة من الامم تدعي انها على حق طائفاً فرقة التقليد فانهم لا يدعون ذلك ولو ادعوه لكانوا مبطلين فانهم شاهدون على أنفسهم بأنهم لم يعتقدوا تلك الاقوال لدليل قادم اليه ، وبرهان ذلكم عليه ، وانما سبيلهم محض التقليد والمقلد لا يعرف الحق من الباطل، ولا الحالي من العاطل، وأعجب من هذا ان أتهمهم نهوهم عن تقليدهم فقصوهم وخالفوهم وقالوا نحن على مذاهبهم وقد دانوا بخلافهم في أصل المذهب الذي بنوا عليه فانهم بنوا على الحججة ونهوا عن التقليد وأوصوهم اذا ظهر الدليل أن يتركوا أقوالهم ويتبعوه بخالفوهم في ذلك كله وقالوا نحن من أتباعهم ، تلك أمانتهم وما أتباعهم الا من سلك سبيلهم واقتفى آثارهم في أصولهم وفروعهم . وأعجب من هذا أنهم مصرحون في كتبهم ببطلان التقليد وتحريمه وانه لا يحل القول به في دين الله ولو اشترط الامام على الحاكم ان يحكم بمذهب معين لم يصح شرطه ولا توليته ومنهم من صحح التولية وأبطل الشرط . وكذلك المقلد يحرم عليه الافاء بما لا يعلم صحته باتفاق الناس والمقلد لا علم له بصحة القول وفساده اذ طريق ذلك مسدودة عليه . ثم كل من يعرف من نفسه انه مقلد لم يتبعه لا يفارق قوله ويترك له كل ما خالفه من كتاب أو سنة أو قول صاحب أو قول من هو أعلم من متبوعه أو نظيره وهذا من أعجب العجائب

(وأيضاً) فانا نعلم بالضرورة انه لم يكن في عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلاً

منهم يقلده في جميع أقواله فلم يسقط منها شيئاً وأسقط أقوال غيره فلم يأخذ منها شيئاً.

ونعلم بالضرورة ان هذا لم يكن في التابعين ولاتابعي التابعين فليكن بنا المقلدون برجل واحد سذب سيئهم الوخيمة في القرون الفضيلة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانما حدثت هذه الفتنة في القرن الرابع المذموم على لسانه صلى الله عليه وآله وسلم فالقلدون لتبوعيتهم في جميع مقالوه يبيحون به الفروج والدماء والاموال ويحرمونها ولا يدرون اذلك صواب أم خطأ على خطر عظيم ولهم بين يدي الله موقف شديد يعلم فيه من قال على الله ما لا يعلم انه لم يكن على شيء.

(وايضاً) فنقول لكل من قلده واحداً من اناس دون غيره: ما الذي خص صاحبك ان يكون أولى بالتقليد من غيره؟ فان قال لانه اعلم أهل عصره وربما فضله على من قبله مع جزمه الباطل أنه لم يجزى بعده اعلم منه . قيل له : وما يدريك - ولست من أهل العلم بشهادتك على نفسك - أنه اعلم الأمة في وقته فان هذا انما يعرفه من عرف المذاهب وادلتها وراجحها ومرجوحها فما للأعمى وتقد الدراهم . وهذا أيضاً باب آخر من القول على الله بلا علم .

ويقال له (ثانياً) فأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعائشة وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم اعلم من صاحبك بلاشك فهلا قلدهم وتركته بل سعيد بن المسيب والشعبي وعطاء وطاوس وامثالهم اعلم وافضل بلاشك فلم تركت تقليد الاعلم والانضل الاجمع لادوات الخبر والعلم والدين وورعت عن أقواله ومذاهبه الى من هو دونه . فان قال : لان صاحبي ومن قلده اعلم به مني فتقليدي له اوجب على مخالفة قوله لقول من قلده لان وفور علمه ودينه يمنعه من مخالفة من هو فوقه واعلم منه الالليل صار اليه هو أولى من قول كل واحد من هؤلاء: قيل له: ومن أين علمت ان اللليل الذي صار اليه صاحبك الذي زعمت أنت أنه صاحبك أولى من اللليل الذي صار اليه من هو اعلم منه وخير منه أو هو نظيره ، وقولان مما متاقضان لا يكونان صوابا بل احدهما هو الصواب ومعلوم ان ظفر الاعلم الانضل بالصواب أقرب من ظفر من هو دونه: فان قلت : علمت ذلك باللليل فهنا اذا فقد انتقلت عن منصب التقليد الى منصب الاستدلال وأبطلت التقليد

ثم قال لك (ثالثاً) هذا لا ينفعك شيئاً البتة فيما اختلف فيه فان من قلده ومن قلده غيرك

قد اختلفا وصار من قلده غيرك الى موافقة أبي بكر وعمر أو علي وابن عباس أو عائشة وغيرهم دون من قلده فهلا نصحت نفسك وهديت لرشدك وقلت هذان عالمان كبيران ومع احداها من ذكر من الصحابة فهو أولى بتقليدي إياه .

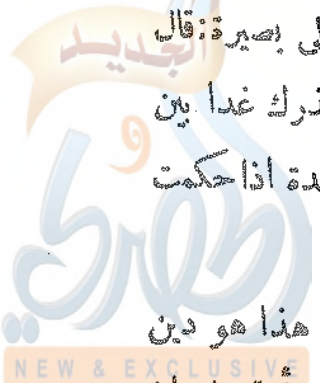
ويقال له (رابعاً) إمام بامام ويسلم قول الصحابي فيكون أولى بالتقليد .
ويقال (خامساً) إذا جاز أن يظفر من قلده بعلم خفي على عمر بن الخطاب وعلى علي بن أبي طالب وعبدالله ابن مسعود ودونهم فأحق وأحق فأجوز وأجوز أن يظفر نظيره ومن بعده بعلم خفي عليه هو فان النسبة بين من قلده وبين نظيره ومن بعده أقرب بكثير من النسبة بين من قلده وبين الصحابة . والحفاء على من قلده أقرب من الحفاء على الصحابة .

ويقال (سادساً) اذا سوغت لنفسك مخالفة الأنضل الاعلم بقول المفضول فهلا سوغت لها مخالفة المفضول لمن هو أعلم منه وهل كان الذي ينبغي ويجب العكس ما تركت
ويقال (سابعاً) هل أنت في تقليد امامك و اباحة الفروج والدماء والاموال ونقلها عنن هي بيدم الى غيره موافق لامر الله أو رسوله أو اجماع أمته أو قول أحد من الصحابة ؟
فان قال : نعم : قال ما يعلم الله ورسوله وجميع العلماء بطلانه وان قال : لا : فقد كفانا مؤتته وشهد على نفسه بشهادة الله ورسوله وأهل العلم عليه .

ويقال (ثامناً) تقليدك لمتبوعك يحرم عليك تقليده فانه نهاك عن ذلك وقال لا يحل لك ان تقول بقوله حتى تعلم من أين قاله ونهاك عن تقليده وتقليد غيره من العلماء فان كنت مقلدا له في جميع مذهبه فهذا من مذهبه فهلا اتبعته فيه .

ويقال (تاسعاً) هل انت على بصيرة في أن من قلده أولى بالصواب من سائر من رغبت عن قوله من الاولين والآخرين أم است على بصيرة ؟ فان قال : انا على بصيرة : قال ما يعلم بطلانه . وان قال : لست على بصيرة : وهو الحق قيل له : فساءذرك غدا بين يدي الله حين لا ينفعك من قلده بحسنة واحدة ولا يحمل عنك سيئة واحدة اذا حكمت وأفتيت بين خلقه بما لست على بصيرة منه هل هو صواب أم خطأ .

ويقال (حادي عشر) هل تقول اذا أفتيت وحكمت بقول من قلده : ان هذا هو دين الله الذي أرسل به رسوله وأنزل به كتابه وشرعه لعباده ولادين له سواء ؟ أو تقول : ان



دين الله الذي شرعه لعباده خلافاً؟ أو تقول: لأدري؟ ولا بد لك من قول من هذه الأقوال ولا سبيل لك إلى الأول قطماً فإن دين الله الذي لا دين له سواه ولا تسوغ مخالفته (١) وأقل درجات مخالفته أن يكون من الآئمين والثاني لا تدعيه فليس لك، ملجأ إلا الثالث. فيالله العجب كيف تستباح الفروج والدماء والاموال والحقوق وتحلل وتحرم بأمر أحسن أحواله وأفضلها «لأدري» :

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

ويقال (ثاني عشر) على أي شيء كان الناس قبل أن يولد فلان وفلان وفلان الذين قد تمتمهم وجمتم أقوالهم بمنزلة نصوص الشارع ولينكم اقتصرتم على ذلك بل جعلتموها أولى بالاتباع من نصوص الشارع؟ أفكان الناس قبل وجود هؤلاء على هدى أو على ضلالة؟ فلا بد من أن تقرروا بأنهم كانوا على هدى فيقال لكم فما الذي كانوا عليه غير اتباع القرآن والسنة والآثار وتقديم قول الله ورسوله وآثار الصحابة على ما يخالفها والتحاكم إليها دون قول فلان أو رأي فلان؟ وإذا كان هذا هو الهدى فإذا بمد الحق إلا الضلال فاني تؤفكون؟ فان قالت كل فرقة من المقلدين وكذلك يقولون: صاحبنا هو الذي ثبت على ماضى عليه السلف واقفى منهاجهم وسلك سبيلهم: قيل لهم: فمن سواه من الأئمة هل شارك صاحبكم في ذلك أو انفرد صاحبكم بالاتباع وحرمة من عداه فلا بد من واحد من الأمرين؟ فان قالوا بالثاني فهم أضل سبيلاً من الأنام وان قالوا بالأول فيقال فكيف وقفتم لقبول قول صاحبكم كله ورد قول من هو مثله أو اعلم منه كله فلا يرد لهذا قول ولا يقبل لهذا قول حتى كأن الصواب وقف على صاحبكم والخطأ وقف على من خالفه ولهذا أنتم موكولون بنصرتة في كل مقاله وبالرد على ما خالفه في كل قاله وهذه حال الفرقة الأخرى معكم.

ويقال (ثالث عشر) فمن قد تمتموه من الأئمة قد نهوكم عن تعاليدهم فأنتم أول مخالف لهم. قال الشافعي: مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفي تلعغه وهو لا يدري: وقال أبو حنيفة وأبو يوسف: لا يحمل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه. وقال أحمد: لا تقلد دينك أحداً.

(١) هكذا الأصل ولعله سقط شيء هناك قوله «هو كتابه وسنة رسوله»

ويقال (رابع عشر) هل أتمم موقدون بانكم غدا موقوفون بين يدي الله وتسالون عما قضيت به في دماء عباده وفروجهم وابشارهم وأموالهم وعما أقيمت به في دينه محرمين ومحللين وموجبين؟ فنقولهم نحن موقدون بذلك . فيقال لهم : فإذا سألكم من أين قلتم ذلك فماذا جوابكم؟ فإن قلتم : جوابنا أنا حللنا وحررنا وقضينا بما في كتاب الاصل لمحمد بن الحسن مما رواه عن أبي خنيفة وأبي يوسف من رأي واختيار، وبما في المدونة من رواية سحنون عن ابن القاسم من رأي واختيار ، وبما في الام من رواية الربيع من رأي واختيار، وبما في جوابات غيره هؤلاء من رأي واختيار، وليتكم اقتصرتم على ذلك أو صعدتم اليه أو سمت همتكم نحوه بل نزام عن ذلك طبقات - فإذا سئلتهم هل فقام ذلك عن أمري أو امر رسولي فماذا يكون جوابكم اذا؟ فإن أمكنكم حينئذ ان تقولوا: فملنا ما أمرتنا به وأمرنا به رسولك فزتم وتخاصتم وان لم يمكنكم ذلك فلا بد ان تقولوا لم تأمرنا بذلك ولا رسولك ولا أئمتنا ولا بد من أحد الجوابين وكان قد .

ويقال (خامس عشر) اذا نزل عيسى بن مريم إماما عدلا وحكاما قسطا فمذهب من يحكم ويرأي من يقضي ومعلوم انه لا يحكم ولا يقضي الا بشرعية نبينا صلى الله عليه وآله وسلم التي شرعها الله لعباده فذلك الذي يقضي به احق وأولى اناس به عيسى ابن مريم هذا الذي أوجب عليكم ان تقضوا به وتفتوا . ولا يحل لاحد ان يقضي ولا يقضي بشي سواه البتة . فان قلتم : نحن وأتم في هذا السؤال سواء . قيل : أجل ولكن تفرق في الجواب فنقول . ياربنا انك لتعلم اننا لم نجعل أحدا من الناس عيارا على كلامك وكلام رسولك وزد ما تنازعنا فيه اليه . وتحاكم الى قوله وتقدم أقواله على كلامك وكلام رسولك وكلام أصحاب رسولك وكان الخاق عندنا أهون أن تقدم كلامهم وآراءهم على وحيك بل أقمنا بما وجدناه في كتابك وبما وصل إلينا من سنة رسولك وبما أفتى به أصحاب نبيك وان عدلنا عن ذلك خطأ منا لا عمد . ولم نتخذ من دونك ولا دون رسولك ولا المؤمنين وليجة ، ولم نفرق ديننا ونكن شيما ، ولم نقطع أمرنا يتنازرا ، وجمنا أئمتنا قدوة لنا ووسائط بيننا وبين رسولك في نقلهم ما بلغوه إلينا عن رسولك فاتبعناهم في ذلك وقلدناهم فيه اذا أمرتنا انت وأمرنا رسولك بأن نسمع منهم ونقبل ما بلغوه عنك وعن رسولك فسمعنا لك ورسولك

وطاعة (١) ، ولم يتخذهم أرباباً تتحاكم إلى أقوالهم ونخاصم بها ونوالي ونمادي عليها بل عرضنا أقوالهم على كتابك وسنة رسوك فما وافقهما قبلناه، وما خالفهما عرضنا عنه وتركناه ، وإن كانوا أعلم منا بك وبرسوك فمن وافق قوله قول رسولك كان أعلم منهم في تلك المسئلة فهذا جوابنا ، ونحن نناشدكم الله هل أتم كذلك حتى يمكنكم هذا الجواب بين يدي من لا يبدل القول لديه ، ولا يروح الباطل عليه ، (ها بقية)

باب الاسئلة والاجوبة

(س١) خطبة الجمعة بالأعجمية — الشيخ عبد الحق الاعظمي خطيب المسجد ذي المنارات في بمبي (الهند) : هل يجوز المدول عن تلاوة خطبة الجمعة باللسان العربي الى لسان البلد التي تقام فيه الجمعة حتى ينتفع بها العموم ويحصل منها الارشاد المطلوب فان بتلاوتها بالعربية على أعجم لا يعرفون هذه اللغة فوات لفائدتها وهو ايصال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى افهامهم وتمكين آثار الوعظ في قلوبهم وانني في كل اسبوع انشي خطبة وأقيا يوم الجمعة على مئاة من المسلمين وبعد الجمعة اسأل المتعلمين منهم الذين مارسوا اللغة العربية هل فهمت ما تلوته على المنبر فيقولون لم نفهم الاكليات قليلة لاننا وان كنا قرأنا قوانين اللغة العربية وعلومها الا أننا لانفهم ما يقرأ علينا بها اللهم الا اذا نحن قرأناه وتأمناه ملياً. فأسف على تعبي في انشاء الخطبة فاردت ان اخطب فيهم بلغتهم الاوردية مع ذكر اركان الخطبة بالعربية فهل ورد في السنة وآثار السلف ما يمنع من ذلك ويحتم اداءها كلها بالعربية وان لم يفهمها حاضرو الجمعة كلهم أو جلهم وبماذا كان يخطب الصدر الاول في بلاد الاعاجم التي افتتحوها

(ج) قد بينا غير مرة ان معرفة اللغة العربية واجبة على كل مسلم لان فهم الدين واقامة شعائره واداء فرائضه كل ذلك موقوف على فهم هذه اللغة ولا تصح الا بها وخطبة الجمعة من أفلها تأكيذاً وثبوتاً وان كانت من أكبر الشعائر فائدة . وقد كان الذين يدخلون في الاسلام من الاعاجم على عهد الصدر الاول يادرون الى تعلم اللغة العربية لاجل فهم القرآن والسنة والارتباط بصلة اللغة التي لا تحقق وحدة الامة بدونها

(١) المنار : يريد ان الذي يؤخذ من الاية هو ما يتلوه عن الشارع لا آراؤهم

وكان الصحابة يخطبون الناس باللغة العربية في كل بلاد يفتحونها وما كان يمر الزمن الطويل على بلاد يدخلونها الا وتحول لغتها الى لغتهم في زمن قصير بتأثير روح الاسلام، لا بالترغيب الديني ولا بقوة الالزام، ولو كانوا يرون اقرار من يدخل في دينهم من الامم الاعجمية على لغاتهم لبادروا هم الى تعلم لغات تلك الامم واقاموا لهم فرائض الدين وعباداتها وبقي الروماني رومانيا والفارسي فارسيا وهلم جرا

وان التفريق الذي نراه اليوم في المسامين باختلاف اللغات هو من سيئات السياسة ومفاسدها الكبرى واذا لم ترجع الدولتان العثمانية والارانية الى السعي في تعميم اللغة العربية في مملكتيهما فسيأتي يوم تندمان فيه واننا لانتمد باصلاح في الهند ولا بغيرها من بلاد المسامين ما لم يجعل ركن التعليم الاول تعلم العربية وجعلها لغة العلم

لا يصب عليك ان تجد عند الحنفية وجها لجواز الخطبة بلغة من تخطبهم لاجل حصول المقصود من الخطبة كما جوزوا كون القاضي والمفتي من المتقلدين خلافا لخصوص المذهب بل المذاهب كلها في اشتراط كونها مجتهدين وكما جوزوا كون القاضي جاهلا وفاسقا وكما جوزوا صلاة الجمعة في الامصار التي ليس فيها حاكم ينفذ الاحكام الشرعية وكما جوزوا امامة من ليس مستوفيا لشروط الامامة وغير ذلك من الاحكام التي جوزوها للضرورة . وليس معنى جواز الشيء للضرورة ان يترك الاصل ويرضى الناس بالضرورة الى ابد الابد وانما معناه ان يأخذوا بالاستعداد لاقامة الحق والرجوع الى الاصل مع الاتيان بالشيء ناقصا وذلك بان يترخصوا بترك بعض الشروط فيه مع الجهد في تحصيلها الى ان تم الشروط ويستقر كل شيء في نصابه والا كان لنا ان نترك الدين كله او نحوله عن وجهه تعليلا لضرورات التي تحكم فيها الالهواء كانشاء

قلت ان خطبة الجمعة أهون من غيرها لانها غير مجمع على وجوبها فان من السالف من قال انها مندوبة كخطبة العيد فاذا اقيمت أركانها الاصلية بالعربية وزيد فيها شيء من الوعظ بلغة أخرى للحاجة لا يخل ذلك بصحة الصلاة ولا بصحة الخطبة ولكنه يدخل في الشعائر الاسلامية تشويها يخشى ان يصير مستمرا .

وليست المصيبة في عدم فهم الخطبة أقوى من المصيبة في عدم فهم الفاتحة وغيرها من السور والآيات التي تقرأ في الصلاة ، اللهم اجزم من نصر والغتهم على لغة كتابك

حتى حالوا بينه وبين عبادك بما يستحقون فقد صارت صلاة المسلمين تقليدية محضة لا روح فيها كصلاة كثير من أهل المال الأخرى

ويسهل على السائل أن يترجم خطبه النافمة بلفه القوم ويقرأ عليهم الترجمة بعد الصلاة لينتموا بها ويتحسروا لعدم فهمهم أصلها العربي في إقامة الشمار الديني لهم يرجمون والسائل يعلم أن المسلمين ما زالوا يخطبون بالعربية في جميع بلاد الأعاجم لملاحظتهم ماقلناه لم يخاف في هذا سني ولا شيعي . وقد عد بعض الخنفية الضرورة التي تجيز المدول عدم وجود خطيب يحسن العربية حتى يوجد وقالوا لا بد من السمي في الجاهد . قال شارح الأحياء : « وهل يشترط كون الخطبة كلها بالعربية وجهان الصحيح اشتراطه فان لم يكن فيهم من يحسن العربية خطب بغيرها ويجب عليهم التعليم والأعصا ولا جمعة لهم » : يعني ان الضرورة لا يجوز ان تجمل مستمرة بل يجب السمي في إزالتها ونحن نقول يجب عليهم تعلم العربية ليفهموا الخطبة وما هو أهم من الخطبة كالفاتحة وسائر الأذكار والسور فان لم يفعلوا كان عاصين ولا صلاة لهم ولا قراءة لهم وانما لهم الصور التي لا تؤثر في القاب ولا تزكي النفس وما كان كذلك فلا تأثير له في سعادة الآخرة ولا في سعادة الدنيا والله أعلم

(س ٢) حد الواطئة — ومنه : ما الحكمة في ان الشارع لم ينص على حد الواطئة مع منافاته لاصل الطبيعة وفضاعته عند سائر الأمم من تقديم الأزمان وان يحدث امراضا خطيرة حسية ومنوية فيضف النفوس ويحط الهمم ويهدم مستقبل صاحبه ويسمى بميسم الذل والشار وما باله يفشوفي هذا الزمان في كثير من البلدان مع انتشار العلم وكثرة الكتب وتقدم فن الطب واستئارة الأفكار حتى اقدم كاد ان يكون منبعه في منابع العلم كالمدراس وفشوه بين ارقى الطبقات كالولاد الاغنياء وبين المنقطعين للعبادة المتزهدين المتنسكين كسكنة انتكيا والأديار وغيرها

(ج) ليست الشريعة محصورة في جلود كتب الخنفية فقد ورد في الواطئة من التشديد والعقوبة في السنة نحو ماورد في الزنا وورد فيه عن الصحابة القتل والرحم والاحراق بالنار . اما الوارد في القرآن فالمجمل منه يشمل الفاحشتين والتفصيل جاء في الزنا ومن العلماء من قال انه يشمل الواطئة . اما كون المجال واردا في القرية بين فهو انه تعالى قال ولا

«وَاللَّاتِي يَا تَيْبِنَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ» الآية ثم قال «وَالَّذَانِ يَا تَيْبَانَهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا» الآية فثنية الذي لا يجوز ان يراد بها الرجلان اللذان يزنيان لأنها تكون لغوا فتمين ان يراد بها فاعلا اللواط أو الزاني واللائط كما قال مجاهد وأبو مسلم وغيرهما وبه أخذ الشافعي . وهذا الايذاء مجمل بينته السنة قال عليه الصلاة والسلام : « من وجدتموه يعمل بعمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول » . رواه أحمد وأصحاب السنن والدارقطني والحاكم والبيهقي والضياء عن ابن عباس . وفي رواية لاحد عنه « اقتلوا الفاعل والمفعول به في عمل قوم لوط والبهيمة والواقع على البهيمة ومن وقع علي ذات محرم فاقتلوه » وقال ص : « ارجوا الاعلى والاسفل ارجوهما جميعا » . رواه ابن ماجه عن أبي هريرة وقال ص : « من عمل قوم لوط فارجموا الفاعل والمفعول به » : الحاكم عن أبي هريرة وروى مثل ذلك عنه الخرائطي في مساوي الاخلاق وابن جرير

هذا بعض ماورد في الاخبار وأما الآثار فقد روى الشافعي وابن أبي شيبة وسعيد ابن منصور في سننه وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي والبيهقي عن يزيد بن قيس أن عليا رجم لوطيا . وروى ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي وابن المنذر وابن بشران والبيهقي عن محمد بن المنكدر أن خالد بن الوليد كتب الى أبي بكر الصديق انه وجد رجل في بعض ضواحي بلاد العرب ينكح كما تنكح المرأة وان ابا بكر جمع لذلك ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيهم علي ابن أبي طالب اشدهم يومئذ قولا فقال ان هذا ذنب لم تعمل به أمة من الامم الا أمة واحدة فصنع بها ما قد علمت أرى ان تحرقوه بالنار : فكتب اليه أبو بكر ان يحرق بالنار . وروى الطبراني عن سالم بن عبد الله وأبان بن عثمان وزيد بن حسن ان عثمان بن عفان أتى برجل قد فجر بفلام من قريش فقال عثمان : أحسن ؟ قالوا قد تزوج بامرأة ولم يدخل بها بمد فقال علي لعثمان لو دخل بها لحل عليه الرجم فأما اذا لم يدخل بها فجلده الحد ، فقال أبو أيوب أشهداني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الذي ذكر أبو الحسن . فأمر به عثمان فجاء . وهذا الاثر أقوى من الذي قبله وأما أقوال السلف والفقهاء في ذلك فقد جاء في الزواجر من ذلك ما نصه :

« كان البغوي اختلف أهل العلم في حد اللواط فذهب قوم الى ان حد الفاعل حد الزنا

ان كان محصنا يرجم وان لم يكن محصنا يجلد مئة وهو قول ابن المسيب وعطاء والحسن وقادة والنخعي وبه قال الثوري والاوزاعي وهو أظهر قول الشافعي ويحكي أيضا عن أبي يوسف ومحمد بن الحسن ، وعلى المفحول به عند الشافعي على هذا القول جلد مئة وتغريب تام رجلا كان أو امرأة محصنا كان أو غير محصن . وذهب قوم الى ان اللوطي يرجم ولو غير محصن رواه سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن عباس وروى عن الشعبي وبه قال الزهري وهو قول مالك واحمد واسحق . وروى حماد بن ابراهيم عن ابراهيم (يعني النخعي) قال لو كان احد يستقيم ان يرجم مرتين لرجم اللوطي . والقول الآخر للشافعي انه يقتل الفاعل والمفعول به كما جاء في الحديث ١٠هـ :

ثم قال صاحب الزواجر : قال الحافظ المنذري حرق اللوطية بالنار أربعة من الخلفاء أبو بكر وعلي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وهشام بن عبد الملك : ثم ذكر ما كتبه خالد الى أبي بكر وقد تقدم آنفا

امام اوردي وعيد فاعل هذه الفاحشة فكثير وقد شنع ابن حجر على من يأتها من المترفين ، ولعنهم كما يلعنهم جميع المؤمنين ، وقد وصفوا من شناعة هذه الجريمة ولكنهم لم يذكروا أعظم مضرة لها ، وأقبح غائلة من غوائلها ، وهي إفساد البيوت فقلما يوجد لوطي طاهر من الفسق وإنما يم الفسق كباره وصفاره نساءه واطفاله . ومع هذا كله ترى اناس في هذه المدينة يُرْتُونَ بالهنات ، ويغلبون حب البنين علي البنات ، وهم يصفون انفسهم بأنهم من الادياء والشعراء وتستخدمهم الحكومة ويحترمهم سائر الناس قبا لهذه الاخلاق ، ولهؤلاء الجبناء الذين ليس لهم خلق ،

واما سبب فسوق هذه افاحشة فيمن ذكرتم فسببه الترف واتباع خطوات مدنية أوربا في التمتع بالشهوات واللذات واما فسوقه في المدارس ونحوها فسببه بعد الرجال هناك عن النساء وتعذر الافضاء اليهن . وليس لهذه المفسدة وأمثالها علاج الا التربية الدينية الصحيحة وكاله باقامة الحدود والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(٣) التأمين على المال — ومنه : كيف يجري المسلم عقد السكرتاه (التأمين على المال وغيره) مع الذمي على غير اساس شرعي وكيف يستحل ماله فهل يمكن استخراج أصل شرعي يستأنس به ؟

(ج) قد سألتنا هذا السؤال كثيرون من أهل مصر ومن غيرنا وسنكتب في ذلك في فرصة

(س ٤) كنا لاروش - الحاج احمد بن عبد الله باحدى محاكم (ستريت ستامنت - سنغافوره):
ماقولكم سادتي أدام الله النفع بكم للانام في الدوا والمعروف بكنا لاروش هل يجوز التداوي به
ام لا فاني كثير اما سمعت من انه (والله أعلم) مزوج ببعض المسكرات غير اني رأيت كثيرين
مداوهم بن استعماله والوقوف على الحقيقة أحييت ان أعرض على سيادتكم هذا السؤال لراجيا
منكم نشره في أحد أعداد المزار والجواب عنه بلا أو نعم ليقف عليه كل من يريد
الاستفهام عنه ودمتم وغاية المولى ترعاهم :

(ج) نعم يجوز استعماله من احتاج اليه فانه ليس مسكرا في نفسه ولا يجب على المريض
البحث عن الادوية التي يصفها له الطيب ليمرف هل فيها جزء من بعض المسكرات أم لا واذا
عرف ان فيها شيئا من ذلك فلا يجرم عليه استعمالها اذا احتاجه للتداوي وانما يجرم عليه شرب
المسكر لانه مسكر. وانما حرّموا القليل من الخمر لانه يدعو الى الكثير كما ثبت ذلك نظرا
واستدلالا وتجربة في كل زمان ومكان فشارب القليل لاجل الالذة والنشوة عاص ومته الى
الفسق بما يجره ذلك الى الاكثار وليس في شرب الدواء الذي فيه جزء من مسكر
لاجل التداوي بالمقدار الذي يعينه الطيب سكر ولا تصد الى السكر ولا خوف من
الوقوع فيه

(س ٥) صلاة مكشوف الرأس - محمد اقصدي حامي كاتب سجن حلفا : رجل

شافعي المذهب يصلي مكشوف الرأس مع وجود عمامة وطرايش عنده فهل يجوز ذلك ؟
(ج) لا يشترط لصحة الصلاة من الملابس الا مايستر العورة وهي عند الشافعية
ما بين السرة والركبة فصلاة من ذكر صحيحه ولكن الله تعالى أمرنا بالتجمل عند الصلاة
بقوله « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ومن التجمل والزينة في عرف الاسلام
لرأس بالعمامة وقد استبدل بها كثير من المسلمين غيرها كالطربوش فستر الرأس في
الصلاة مطلوب شرعا وتركه مذموم الا لعذر وهو من شعائر النصارى

(س ٦) مثل جبريل النبي ص - ومنه : هل رأى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام

جبريل عيانا وهل كان يجيئه بصورة أحد الصحابة واذا كان هذا صحيحا فما الدليل عليه؟

(ج) جبريل هو الروح الذي كان ينزل بالوحي على النبي صلى الله عليه وآله

وسلم وكما جاء في الآيات ما يدل على ان النزول كان روحانياً كالنصير بالنزول على القلب ورد فيها ان النبي رأى جبريل وفي ذلك نزل قوله تعالى « علمه شديد القوى » الى قوله « ولقد رآه نزلة أخرى » ولكنهم قالوا ان هذه رؤية ملكية روحانية أي رآه كما خلقه الله تعالى . وورد في الاحاديث الصحيحة انه يتمثل له الملك رجلاً أي كما تمثل لمريم عليها السلام بشراً سوياً . وهذا التمثل أيضاً روحاني والذين يدعون رؤية الارواح من الصوفية وغيرهم يقولون انها تتمثل لهم بصور بشرية . وورد أيضاً انه كان يراه بصورة دحية الكلبي فاما تمثل الملك له بصورة رجل فقد ورد في الصحيح عند الشيخين وغيرها . واما رؤيته بصورة دحية فقد رواه الطبراني عن أنس وإسناده ضعيف

(س٧) المعراج والرؤية — هل عرج سيدنا محمد إلى السماء بروحه وجسمه أو بروحه دون جسمه وهل تشرف برؤية الحق جل شأنه عياناً أو بقلبه واذا كان كذلك فهل يوجد إنبات ؟

(ج) اختلف العلماء فيما ذكرتم لانه لا يوجد دليل قطعي يمين شيئاً من هذه الوجوه والاقرب الى العقل ان ماروي من ذلك فهو روحاني . وحديث المعراج على الغلظة ورد في أحاديث آحادية تفيد الظن ولكن رؤية الحق لم تثبت بحديث مرفوع صحيح وقد سئلت عنها عائشة رضي الله عنها فأنكرتها كما ورد في الصحيح وقالت « لقد قف شمري » الخ وورد في صحيح مسلم وغيره ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل : هل رأيت ربك فقال « رأيت نورا » وفي رواية « نوراً نبي أراه » أي انه لم ير الا النور او ان النور منع من رؤيته وليس المعنى ان الله تعالى نور « ليس كمثل شي » وقال الامام الغزالي في الاحياء : الصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما رأى ربه ليلة المعراج : والذين يثبتون الرؤية يروونها موقوفة على ابن عباس في تفسير « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس » والمعروف في اللغة ان « الرؤيا » هي ما كان في المنام و « الرؤية » ما كان في اليقظة وعلى كل حال يجب ان تعتقدوا ان الله تعالى منزه عن صفات المخلوقين فلا يمكن ان تكون رؤيته كرويتهم وان ماورد يحمل على كمال المعرفة التي تستغرق الروح وكل مداركها والله أعلم

(حب الزينة وحب التميز)

«لست من محبي الأمور الفانية ولا المعرورين بها ولكنني أحب ذلك السر الرباني الذي به نعلم خواص هذه الأمور مفردة ومركبة . وبه نتصرف فيها على أمانة لا يبي مجموعها عقل واحد . وانكم لتعلمون ان ذلك السر الرباني الذي اودعناه من أعظم خواصه حبة الجليل .

وحرام على من لم يروا بصرهم شيئاً من اسرار الصنعة الالهية ان يخوضوا في علم الاخلاق وعلم شرائع الاجتماع .
احفظ لي أيها القاريء هذا الكلام املك تذكر وتدبر اذا قاجأتك في مخالفة لبعض كتاب هذا العلم .

حياة الانسان لوازم : هن حاجاته الضرورية . والحيوانات تشاركه بنظائرها . وتوايح : هن حاجاته الكمالية . وليس للحيوانات حظ بأشبهها . ويمكننا باعتبارنا اولى والثانية ان تقسم حياته الواحدة الى قسمين : حياته الجنسية . وحياته النوعية .
الحياة الجنسية يمكن حصر ما به قوامها . فالغذاء قد يكون من الاعشاب كدأب آكلة النبات من الانعام وغيرها . وليس هذا مبني على خيال شعري يعظمه الزهد فيما تقبله طبيعة الانسان بل هو مجرب محسوس أثبتته لنا بالفعل قوم أوحى اليهم الوهم ، وأوحى من نبذ ما خلقه الله للبشر .

والإواء قد يكون حجراً كأوجار الوحوش . وقد أتاح الله لنا ان نشاهد بالذات مميشة بني هذا النوع في النيران ولا أعني بالذين شاهدناهم قوماً من اخوان الوحوش في السيرة والطباع والاقطاع عن الانس . بل هم فئات من زراع هذه البلاد أولو جديدها .
بأغية وراغية وأولو حرث في بلاد ذات زرع وحب الحصيد .

والكساء قد يستغنى عنه وقد يكون من جلود الصيد أو الانعام . ولدينا قبيحة يقال لهم الصلّيب لم نشاهد من اكيبتهم غير جلود الآرام التي جل غداثهم من لحومها .
والوقاع لا يحتاج منه الى أكثر مما في طبيعة النوع من تراضي أنفي وفحل وأنجذابها .

هذا الامر بسائق ما في الفطرة بحكمة الألوكة www.alukah.net وبهذا القدر الذي مثلنا به تحفظ الأشخاص ويبقى النوع كما حفظت أشخاص السوارح المعجموات وأنواعها .

قلنا ان هذا القدر يمثل لنا الحياة التي يمكن ان يعيش بها الانسان ويتناسل . وهل يمكننا أن نقول بوجود شيء يميز الانسان عن باقي الحيوان في هذا المثال من الحياة ؟ . قد كان يمكننا ان ندعي وجود مميز لو كان له مع هذه الحياة أفكار عالية . وهيات فقد أبنانا التاريخ ان الانسان كان معدما ، من الافكار العالية يوم كان يعيش مثل هذه المعيشة وكذلك بلونا الذين يحيون هذه الحياة في يومنا فلم نجد لديهم فضل إدراك ينفون به على الفارين . بل ان وعد الله حق وان الانسان بمجموعه ارتقى ولكن كان ذلك منذ طفق الاستعداد النوعي تجلي مظاهره ، وتجلي مناظره ، وان يبرح في رقيه مادامت الغبراء في ازاء الزرقاء . تجلى عليها شمسها وتوتيتها من لدنها نظاما . عرفنا لكم الحياة الجنسية بالتمثيل وبه أوضحنا قولنا انه يمكن حصر ما به قوامها . أما الحياة النوعية - فن الصب جمل حد لما يتماق بها كما كان من الصعب تحديد الاوهام والافكار التي هي تابعة لها . ولكن يمكن ان نقول ان أكثر الاشياء التي هي من فروع الحياة النوعية تابعة لثاموسين عظيمين من طبيعة النفس الانسانية هما (١) حب الزينة و(٢) حب التميز . وتتكلم فيهما على الافراد لشدة العلاقة بينهما .

﴿ حب الزينة ﴾

نأخذ من التمهيد المقدم كلمة نقولها هنا : لو كان الانسان هو الآكل المواقع لكان من السهل في معرفة ما هو ان نقول « هو آله من جملة هذه الآلات الكونية التي تحركه بأصل صنعها » ولكن هنا فصول وقيود كثيرة زائدة على هذين الوصفين لا نريد الآن ذكرها كلها بل ذكر واحد منها وهو كونه « محباً للجميل » . فهذا التقيد وحده يمننا ان نقول في تعريفه ذلك الكلام ويجعلنا نتفكر وسنما في خصائص هذا المخلوق الكريم ، المصنوع لاصر عظيم ،

من تأمل في الانسان وجد الموالم محشورة في ذرات صغيرة من مواقع ادراكه . ووجدها كما فيها بأحكام كثيرة ولم تلها يده . بعض تلك الأحكام له نسب بالحقيقة متصل .

وبعضها له سبب الى طائفت الوهم ممدود .
 أما الذي يتماق بالوظائف الطبيعية لحياته الفكرية من تلك الاشياء المتكثرة فهو
 تقسيمه المحسوسات والمتخيلات الى قسمين مستحسن محبوب ، ومستقبح مكروه ،
 — ماهو الحسن ، ماهو الزين ، ماهو الجميل ؟ —

الحسن والزين والجميل كالحسن والزينة والجمال ، الفاظ متعددة تدل على معنى واحد
 عند رواد البيان ، وعلى معان متقاربة عند رواد القشور . وتعدد الالفاظ مع توحد
 المعنى (وهو الذي يسمونه الترادف) لا عيب فيه على لغة لانه كتعدد الحلال لكاسية
 واحدة . ولكن بهض المتورعين في حفظ الدلالات اللغوية من طوارق النسيان يجتهدون
 ان لا يثبتوا الترادف بادعاء معان متقاربة أو فروق لا تكاد تذكر في مثل هذه المترادفات
 ولا نعيب فمالم هذا فان له فوائد ولكن نسألهم ان لا يعيبوا قولنا بترادف هذه الكلمات
 التي ربما تعددها تفسير بعضها ببعض وبيان ترادف ما اشتقت منه ليم من قولنا
 « حب الزينة » اعلام بحب الجمال الطبيعي كالصناعي وقد حملنا على هذه الايضاحات
 ما نعلمه من تفريق الاصطلاح وأمله بين هذه المتحدات تفريقا افضى الى تشييت
 الفهوم . وهنا استغفر من هذا الاستطراد الطويل وان أوجبه المقام .

نعود الى معرفة حقيقة الحسن الزين الجميل ثم نسأل نفسنا وغيرنا ماهو الحسن؟
 ماهو الحسن؟ ماهو الاستحسان؟ ماهو حب المستحسن؟ لماذا نستحسن؟ لماذا نحب
 الحسن؟ لماذا نخاف بالاستحسان؟ ماهو عشق المستحسنات الذي يميل بكل نحو
 مستحسن فيفرم به؟ هذه مسائل تخطر في بال كثيرين ولكن قل ان تجد في حجرات
 السرائر مقرا تقيم فيه برهة طويلة ، أستدل على ذلك بعدم ثبات ارادتنا معشر بني
 النوع اللهم الا قليلا من أحكم الحكماء الذين تزكت أرواحهم فكانوا بالأسرار من
 العارفين ولا جناح علي ان اعترف بأني لأملك تلك الملائكة التي بها يتيسر الجواب عن
 كل مسألة من هذه اشروحات . ولكني أظن ان هذا لا يكون مانعا من عرض الاستناد
 الفكر من ملاحظاته في عالمي الشهادة والغيب . فاشد مساح في هذين العالمين في سبيل
 اكتشاف هاتيك الشؤون .

(١) ماهو الحسن؟ — نحب عن السؤال الاول جواباً يفتح كل مطلق امامه

من المسائل فقول: من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحسن ان كان محسوسا فهو مابني بالحاجات ويزيد عليها أموراً تنبسط النفس برآها
لناسبة ماخفية تقدر في النفس ويظهر للقارىء ان هذه المناسبة ببقائها خفية بقي الكثير
من اسرار الاستحسان في المحسوسات غامضا وستأتي زيادة بيان ،

وان كان الحسن غير محسوس فهل هو ما يستحسنه كل عقل لنفسه؟ كلا بل هو
ماتفق العقول السامية كلها أو جلها على استحسانه ويجب ان نصرح هنا بأنه لأعبرة
بكثرة الذين يستحسنون الشيء تقليداً بل العبرة بكثرة الحكماء الذين يستحسنون الشيء
عن طول تفكير . واذا وجدناهم مختلفين في شيء وفي جانب كل حزب كثرة فان
لاحباب العقول من أهل الزمان الذي هم فيه ان يتفكروا واكثرتفكرون ولهم ان يصرحوا
باستحسان ما يستحسنونه فليس ثمة اغلال للافكار . ويحتاج في الاذهان ان حرية الاستحسان
في غير المحسوسات توجب انفراجا واسعاً بين الافراد . وانه يكاد هذا الظن ان يكون
صواباً لولا سببان عظيمان احدهما ان توسع حاجة النوع الى الاجتماع وتوسع حاجاته في
الاجتماع قد ضيقا بالتدريج ذلك الانفراج من قبل ان يتسع اتساعاً عظيماً ، اذ كما تتسع
أشياء من الضيق تضيق أشياء من السعة . الثاني ان المسلم الذي رزقه مجموع النوع
قد قارب بين الافكار بأنواع خاصة - سيجيء بيانها - وبهذا التقارب صار الافراد
الذين لا يقتصرون جماعات محصى . ومن المشاهد ان لكل جماعة مستحسنات عامة لا يستكرها
الافراد وان لم تكن حسنة في الحقيقة لانهم مقلدون . واكثر هؤلاء الجماعات يزهبون
الى ان الحسن ما حسنته مذاهبهم الدينية على انه مهما بالغ المبالغون في حبس حرية
الافكار فلا يسمهم مناقشة الناس اذا بدا لهم ضد ما حسنته المذاهب بل يضطرون
الى المجاملة بضروب من الاصطلاحات معروفة لمن مر بتلك الابواب . وبمثل هذا
كانت ولا تزال تحصل التغيرات في العالم ويجب ان لانكم ان حكماء الناس هم حكماء
الافكار ولكن قد تصير فترات تضعف فيها الحكمة ويقوم الناس ينتحلون لانفسهم هذه
الوظيفة بصيغة أخرى فيحيون ضالين مضلين . وفي هذه الايام يصير غير الحسن حسناً .

يقضى على المسره في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن
هذا والمقام يحتاج الى فضل بيان ولكننا اجملناه اجالا فمن لم يبع ماني باطنه كفاه

وسواء كان المستحسن مستحسن جماعة أو مستحسن فرد من محسوس أو متخيل لا يمكننا تمليل وجه الاستحسان في كل شيء ولكن نعلم ان العلة العامة في استحسان الاشياء هي مناسبة تقديح في النفوس . ونعلم ان استحسان كل شيء علة محبته والاهتمام به على مقدار درجة المحبة (اذ لها درجات) . ونعلم ان هذه الاستحسانات - من حيث هي - طبيعية في النوع . ونعلم انها هي التي أوصلت مصانع الانسان الى هذه الصورة الباهرة الساحرة . ونعلم ان هذه الامانع من المميزات العظيمة لهذا النوع . ونعلم ان الانسان سيتسامى رقيه مادام يستحسن ويسعى وراء ما يستحسنه باهتمام يسوق ، وأمل يقود ، وعزم يمين .

باب التوب والتعلم

شكوى الامهات من تربية البنات

لما نشر المقطم شكوى نساء الانكليز من تربية بناتهن في هذا العصر طلب ان يعرف رأي الامهات في بناتهن في مصر فكتب اليه من بعضهن الشكوى في إثر الشكوى من سوء حال تربية البنات المتعلمات وكونهن لا يحفظن بغير الهمم والزينة والعزف بالبيانو ونحو ذلك من الترهات، ولم تصادف هذه الشكوى اقل اهتمام من البنات ولا دفاع عن أنفسهن وقد توالى الحث عليهن من المقطم وكثر الترغيب حتى جاءه رسالتان من بدين قال انه لم يرد منهما شكوى من الامهات إحداهما بامضاء « ابنة قبطية » والثانية بامضاء « ابنة شاكرة » وخوى الرسالتين واحد وهو ان الذنب في كل ما تشكو منه الامهات عليهن وعلى الآباء في عدم العناية بتربية البنات والاعتراف بأن التعليم لا يفني عن التربية شيئاً وان كان في نفسه نافعا .

ولا يزال المقطم يشير كوامن الرغبات ، ويحرك سواكن همم البنات ، ونظن انه اذا نتأت الكنائس ، وبهرت الدفائن ، وفار في الجدل التنور ، وحصل ما في الصدور ، فانه لا يكتب في الجرائد شيء يخرج عن معنى ما كتب الا ان تقتجر بنت بأنها أصلحت

من بيت أبيها ما كان فاسدا ، ونظمت ما كان محتلا ، أو تفتخر ام. بأن بنتها كذلك .
وسواء كتب هذا أو بقي الفريقان متفقين على سوء تربية البنات ، وعلى كون الذنب
في ذلك على الآباء والامهات ، فإن الحقيقة في مجموع الشعب المصري لا تظهر بمثل
هذه الرسائل لاسيما مع الظن الراجح بأن أكثر صواحبا من السوريات ثم من القبط ،
والسوريات هن أخلاق ورائية وعادات تقليدية ليست للمصريات وان كانت محبرتهن
الى مصر من زمن بعيد ويربى بناتهن في مصر وتعلمن في ، وأما نساء القبط وبناتهن
فيشاركن المسلمات المصريات في بعض الشؤون ويفارقهن في بعضها، ومما فخر الخلف
في المتعلمات من الطائفتين أوسع فان القبطيات المتعلمات يمزقن الحجاب ويحضرن مجالس
الرجال في زينتهن كنساء الافرنج بلا فرق فلا بد أن يكون لذلك أثر في سيرتهن لا يعرف
في المسلمات اللواتي هن أكثر أهل البلاد ،

ويوجد سبب آخر للخلف حتى في بنات الطائفة الواحدة وهو اختلاف معاهد
التعليم فان من البنات المتعلمات من تعلمت في مدارس الحكومة ومنهن من تعلمت في
مدارس الجزويت أو الفرير ومنهن من تعلمت في مدارس البروتستانت الامريكان
أو غيرهم ومنهن من تعلمت في المدارس الاهلية الاسلامية أو القبطية . ولكل نوع
من هذه المدارس تأثير خاص في نفوس من يتعلم فيها يحدث خائفا كبيرا في الاخلاق
والعادات والرغبات

انظر الى هذه الفصول بين طبقات الامة المصرية هل تجد مثلها في انكلترا التي
يحاولون في هذه المقام ان يسلكوا طريقها في اختبار حال البيوت ومعرفة تأثير التربية
في البنات . الامة هنالك واحدة والمدارس طريقة واحدة وللتربية العامة نظام واحد
فاذا شكوا بعض نساء الانكليز من تربية بناتهن فلك أن تصبر شكواهن ميزانا للتربية
في الامة وان تقول ان ما يصدق على هؤلاء يصدق على من في طبقتهن فاذا رأيت الشكوى
من جميع الطبقات فلك أن تحكم على الامة في مجموعها بما تضمنته الشكوى حتى اذا
استثني بعض الافراد كان ذلك لاسباب خاصة فان القواعد الاجتماعية لا تستغرق جميع
أفراد الامة والشذوذ فيها مطرد

اذا سألنا عن حال البنات المتعلمات في البيوت هل هن قرة عين لامهاتهن أم لا

فلا بد لنا من معرفة الجواب عن ذلك من الرجال المتعلمين المختبرين ، والذي يقرب من النظر ويؤيده الخبران تعلم البنات في مصر سطحي كما يقولون وأنه عند من ضرب من ضرب الزينة فهو في الغالب يشغلهم عن مساعدة أمهاتهم على تدبير المنزل وخدمة البيت ومنهن من يعتقدن أنهن أرفع منزلة من ذلك. أما حال الامهات معهن فيختلف باختلاف الطبقات فالبيوت الغنية يرضى الامهات فيها ان يرين بناتهن مشغولات بالزينة في جميع الاوقات واز يمكن مميزات بمعرفة ملا يعرفه سائر البنات من اتقان اللغات الاجنبية واحسان العزف بالبيانو والتفان في بدع الزينة، ويعتقدن ان هذه المزاي هي المرغبات الكبرى لمربي الزوج ، والاسباب الصحيحة للدمرة والابتهاج ،

وأما البيوت التي يحتاج فيها المساعدة البنات والتي يعصر على أمهاتها موافقة رغباتهن الجديدة التي أحدثها التعليم الجديد فلا شك ان الامهات فيها يتبرمن من تقصير البنات في مساعدتهن على تدبير المنزل وتربية الاطفال ولكنهن يكتمن ذلك في الغالب ولا يبدنه الا ان يسهل عليهن اطلاعه على عوراتهن ، ووقوفه على مساوئهن ،

اعتذر بعض الرجال عن البنات بمثل ما اعتذر به الكاتبان صاحبنا الرسالتين في المقطم بأن الذنب على الوالدين لاعلى البنات فانها يعلمان بناتهما الا انهما لا يربيانهن وحين الحال في المميشة وكل أعمال الحياة يتوقف على التربية أكثر من توقفه على التعليم لاسيما تعليم المدارس الذي أكثره فيما لا عمل فيه، إذ بالتربية يكون تمرين الاعضاء على العمل، وبالتربية تتكون الاخلاق والعادات الحايكة على الارادة. والارادة هي التي تنفذ ما يقضي به العلم ويظهر وجه المصلحة فيه فن لا تربية له لا ينفعه علمه الذي تعلمه في مدرسة العلم ولا علمه الذي تعلمه في مدرسة الوجود لان العلم عنده يكون صوراً خيالية تلوح في ذهنه ثم تغيب ،

وأقول ان هذا العذر على صحته لم يصب موقعه من تبرئة البنات المتعلمات لأن القصد من تعليمهن اصلاح البيوت التي أفسدها جهل أمهاتهن فاذا كان علم المدرسة يفيد البنت الكسل، ويزيدها اعراضا عن العمل، ويغض اليها عادات أهلها وقومها نافعة كانت أو ضارة، ويجب اليها تقليد قوم آخرين في الزينة والترف وان أعجز الوصول اليها أباهاً وأمها - فلا شك ان هذا التعليم سم قاتل ، وبلاء نازل ، وان تركه واجب ،

ومقاومته ضربة لأزب ،

السبب الحقيقي في سوء حال البنات المتعلمات وسوء حال غير المتعلمات هو - كما قيل - سوء التربية العامة أو ترك التربية الصحيحة النافعة، ولكن أليس من الضروري ان يكون سوء الاخلاق الذميمة ، وقتك العادات الرديئة ، أقل تأثيراً في نفس المتعلمة منه في نفس غيرها ؟ أليست فائدة العلم الكبرى مساعدة التربية لان المتعلم يحكم على ما عليه الناس بغير ما يحكم به الجاهل فيميز بين الضار والنافع، والصالح والفساد، أليس التعلم هو تربية للعقل الذي هو أفضل القوى النفسية. فاذا تمازت البنت على أمها بالعقل وصحة الحكم على الامر وعرفت من الحقوق ما لا تعرف ، وساوتها في ضعف الارادة ، والخضوع لسلطان العادة ، أليس من المعقول ان يتنازع ما به الامتياز وما به التساوي فيقوى هذا تارة وهذا تارة ويكون ترجيح العقل فيما غلب فيه مبدأ دخول الاسلح المطلوب؟؟

بلى ان اصلاح حال الامم يجري في هذه السبيل ولو كان التعليم في هذه البلاد يقصد به الى اصلاحها لارتقت في الاخلاق والاعمال كما ارتقت في التعليم على أكثر بلاد المشرق . والامر بخلاف ذلك فان أخلاق اناس في كل بلاد نعرفها أرقى من أخلاق أهل هذه البلاد كما ان عاداتهم أمثل من عاداتهم، على ان التعليم هنا أكثر انتشاراً منه في تلك البلاد التي نضيتها والمصريون الذين سافروا الى تلك البلاد يعرفون هذا وينطقون به . وأعجب من هذا ان أكثر الفساد والفجور لم ينتشر في اكناف هذه البلاد ويتغلل في أحشائها الا بالمتعلمين فكانهم لم يتعلموا لاجل العمل الا شرب الخمر ولعب الميسر والتفنن في الزينة والانغماس في الشهوة البهيمية حاشا نفر ايمدون على الاناملهم الذين أفادهم العلم وخدمهم من الوفاء المتعلمين

السبب في هذا ان العلم الذي يعلم في المدارس المصرية - سواء كانت للحكومة أو للاجانب أو للاهلين - لم يقصد به الى إصلاح النفوس وارتقاؤها وجعل المصريين سعداء أعزاء فان مثل هذا القصد لا يأتي الا بمن يفارون على الامة ويرون سعادتهم بسعادتھا وعزمهم بمزھا، ورؤساء الحكومة المصرية ليسوا كذلك، والجزويت والفرير والامر بكان ليسوا كذلك ، ومنشئوا المدارس الاهلية كان يجب ان يكونوا كذلك واسكنهم ليسوا كذلك . وهذا شيء يعرفه كل أهل البصيرة في مصر وربما نشرحه في مقالة أخرى

تبين من هذا ان قلة استفادة البنات من التعليم سببها انه لم يقصده اصلاحهن ولا إعدادهن لاصلاح بيوتهن فان هذا التعليم جاء من الافرنج وزمامه بأيديهم في مدارسهم ومدارس الحكومة التي هم قوام عليها (والمدارس الاهلية مقلدة لهذه المدارس تقليداً عمى أصم) وإنما يقصد الافرنج جذب نساء هذه البلاد الى النطق بلغاتهم ، والتزيي بأزياء نساتهم ، واستحسان عادات قومهم وتمظيم شؤونهم ، ليقبضوا من صدور الامة حب جنسها ووطنها ويقطعو جميع روابطها الملية فتكون طممة لهم . ومن تراد انتفع بتعليمهم من ذكر واثني وصلح حاله فاعلم ان ذلك كان بمعونة استعداد فطري عظيم وتربية محمودة وتوفيق الهي أمام ذلك ووراءه

والنتيجة انه لا يرجي ان نستفيد من تعليم البنات ولا تعليم الذكور ما يصلح به شأننا وترتقي به أمتنا الا اذا وجدت عندنا مدارس يتولى ادارتها رجال يهمهم إصلاح الامة وإعلاء شأنها . وقد وفق القبط الى هذا أكثر مما وفق المسلمون ، فاذانهمضت بهؤلاء الهمة الى إنشاء مدرسة كاية تناط إدارتها برجال الجمعية الخيرية الذين أثبتوا انا بنباتهم على خدعة الامة انهم خير رجالها فبشرهم بالنجاح الماحل ، والخير الآجل ، والا كانوا على خطر عظيم ربما لا يتهبون له الا بعد فوت الفرصة ، ووقوع النقصه ، والامر لله العلي الكبير

أنا من علماء العرب

عقود التقرير والخطب

(ارشاد الألباء * الى طريق تعاليم الف با)

في أيدي الناس ألوف من الكتب المؤلفه في العلوم والفنون ولكن أكثرها متشابه لان بعضها في الغالب منقول من بعض مع اختصار محل أو غير محل وزيادة ضارة أو نافعة وكيفما كان هذا التأليف فهو تقليد من المتأخر للمقدم منهم من أحسنه ومنهم من أساء فيه وسواء كان التقليد متقنا أو غير متقن فهو ليس من العلم في شيء وانما لا يكون عالما ولا مفيدا للعالم ولا مستفيدا له وانما ينتفع بكلام العلماء ومباحثهم

من ينظر في ذلك بهين البصيرة والابتدلال . ومن زرع من عنقه ربة التقليد هدي الى الاستنادة والافادة حتى يصح ان يقال في تأليفه انه له وان فيه عامه وحتى ان الباحث المجتهد لينيد في كل موضوع وان كان ما يرضه الناس بديها لاجمال فيه للبحث . أمانا الآن كتاب «ارشاد الالبا» الى طريق تعام ألف با الذي وضعه حديثا الشيخ طاهر الجزائري الشهير واسمه يدل على موضوعه . فقد سلك فيه صاحبه مسلكا في الاجتهاد لم يخرج فيه عما قاله أئمة اللغة العربية ولكنه أحسن الاختيار والتصرف فقرب البعيد ، وسهل الحزن ، وذل الصعب الجاع ، حتى أخرج لنا علم الاوائل في أحسن صورة انتهى اليها رقي الاواخر . فلا يتوهن أحد من الاسم ان الموضوع بديهي لا يحتاج المؤلف فيه الى سعة اطلاع ، ولا براعة في الوضع والتأليف ، وان لا ينتفع بهنا الكتاب ، الا معلم الكتاب ، كلاله كتاب لا يستغني عنه معلم عربي مهما علت منزله في العلم . وان كان كمؤلفه في سعة الاطلاع وقوة الفهم ، فان هذا الرجل أعلم علماء سوريا في العلوم العربية بل هو أوسع من تعرف اطلاعا على مؤلفات المتقدمين والمتأخرين من أهل هذه اللغة مع تمكنه في علومها . واننا نود ان يعطى عليه جميع علماء الأزهر وجميع معلمي العربية في مدارس الحكومة والمدارس الاهلية فعسى ان يتبه لذلك شيخ الأزهر ومفتشو العربية في المعارف ونظار سائر المدارس فيأمروا بنشر هذا الكتاب في مدارسهم

لواردنا ان تنشر ما نطوي ما في الكتاب من مباحث الحروف المفردة والمركبة ومباحث النطق والكتابة والتعليم ونورد طائفة من الشواهد والامثلة التي وردت فيه سهيلا لذييل التعليم لاطلنا في التقريظ ولا سمة هنا للتطويل . وقد طبع الكتاب في بيروت طبعا حسنا على نفقة الشيخ أحمد طباره محرر جريدة ثمرات الفنون الغراء وضبط فيه ما ينبغي ضبطه وصفحاته ١٤٤ وثمان النسخة منه أربعة قروش وهو يطلب من ادارة المنار ومن مكتبة أمين افندي هندية

(رسالة ألف با) هي رسالة مستخرجة من كتاب (ارشاد الالبا) لاجل التعميم وهي توافق الطرق الحديثة في التعام على انها مقبسة من وضع الائمة المتقدمين وصفحاتها ٣٢ وثمان النسخة منها نصف قرش صحيح وتطلب من مكتبة هندية أيضا

﴿ تدبير الأطفال ﴾

كتاب حديث في فن تربية الأطفال وتدريبهم في الصحة والمرض من تصنيف « الدكتور اسكندر جريديني بك مساعد استاذ الفيسيولوجيا سابقا في كلية ماريون سمس الطبية في سانت لويس اميركا » ابتداء المؤلف كتابه بفصل في تدبير صحة الحوامل وأمراض الحمل وحال الولادة ثم تكلم على تدبير الأطفال منذ يولدون فلم يترك شيئا يجب ان يبحث فيه الاوفاه حقه ولم يقتصر على الكلام في الوقاية من الامراض الجسدية واهلجتها بل بحث في تربيتهم النفسية ايضا واطال القول في ثابهم وغذائهم وخدمتهم . وكلامه في العلل والامراض التي تطرأ عليهم سهل يفهمه كل متعلم ومتعلمة . وجمة القول في هذا الكتاب انه نعمة كبيرة على قراء العربية وانه لا يستغني عنه بيت من البيوت فنحث جميع المتعلمين على قراءته ونخص الامهات بالحث عليه . وقد طبع طبعا حسنا في مطبعة الهلال وصفحاته ٢٦٨ وثمان النسخة منه ١٢ قرشا صحيحا وأجر البريد قرشان وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

﴿ الألفاظ المترادفة ﴾

رسالة للإمام أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (رحمه الله تعالى) اعنى بشرحها وطبها محمد أفندي محمود الرافعي بعد ان صححها وضبط ألفاظها على الشيخ محمد محمود الشنقطي امام اللغة في هذا العصر . والمراد بالالفاظ المترادفة فيها الالفاظ التي يجمعها معنى عام وان كان لكل لفظ منها معنى خاص يفاير الآخر فهني في المفردات نحو كتاب (الالفاظ الكتابية) للهمداني في الجمل ولكن فيها من الفوائد مالا يعني هو عنه وقد طبعت بالشكل في مطبعة الموسوعات وتباع في المكتبة الازهرية وثمان النسخة منها قرش ونصف فنحث طلاب العلم لاسيما المشتغلين بالكتابة والشعر على اقتنائها ومطالعتها

﴿ مراقبي الترجمة ﴾

صدر الكتاب الرابع من مراقبي الترجمة من الانكليزية الى العربية وبالعكس وهو خاص بتلامذة السنة الرابعة في المدارس الابتدائية . ومن فوائد هذا الجزء أنه مشتمل على مسائل الشهادة الابتدائية في الترجمة التي امتحن بها الطلاب في المعارف من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٣ فنشكر مؤلفه وناسره أبي زيد أفندي فايد عمله ولما ساعده

على التأليف عبد الحميد افندي الشريفي ومحمود افندي عثمان عزالله (الثلاثة من المدرسين في مدرسة الناصرية الاميرية) ونحت جميع متاعى الانكليزية على الاتفاع بكتابهم وثمة قرشان ونصف قرش فقط

﴿ المقامات العشر * لطابة العصر ﴾

انتخب الشيخ محمد المبارك الجزايري عشر مقامات من مقامات الحريري واختار ان يقرأها طلاب العلم لتكون مادة لهم في اللغة وقد شرحها لينهل عليهم فهمها فطبعتها على نفقته الشيخ أحمد حسن طباره محرر جريدة «نمرات الفنون» الفراء في بيروت وجعل ثمن النسخة منها ثلاثة قروش ولعل محبي هذه المقامات من طلاب العلم يكتفون بها ويحبون همهم الاستفادة من مفرداتها من غير عناية بأسلوبها. وهي تطاب من طبعة هندية

﴿ ملكة على عرش الفراغة ﴾

اسطورة انكليزية تشرح بعض عادات المصريين الاولين وفراغتهم وموضوعها ان فرعون موسى عشق غادة مصرية اسمها تاهوسر كانت عاشقة للشباب الإسرائيلي بوياري مدير الاملاك الخاصة بالاسرة المالكية وكان من كبار الاغنياء وكانت الفتاة من اولاد اكابر الكهان ذات ثروة عظيمة ولم تجد سبيلا لتقرب من معشوقها الامفادرة قصرها متكرة بزي فقيرة والدخول في قصره والانتظام في سلك خواتمه لعلها تستميله بما يشاهد من جمالها وكمالها ولكنها سوء حظها علمت بعد ذلك انه عاشق لفتاة من قومه اسمها راحيل على ان الفتاة الاسراييلية رضيت بأن يجمع خطيبها بينها وبين المصرية اذا هي تركت دين قومها وعبدت مع الاسراييليين إلهها واحدا وكاشفتها بذلك وأخبرتها بأن سيخرجون مع موسى من مصر فرضيت المصرية بالخروج معهم ولكنها خادمة راحيل دلت فرعون عليها فأخذها الى قصره وكان يستميلها فلتميل اليه حتى اذا ظهر موسى عليه السلام يدعو الى ارسال بني اسرائيل معه صارت تلين له القول ليسمع نصيحها له بعدم الفلك بني اسرائيل وفي الاسطورة من خبر موسى مع فرعون ما يصح وما لا يصح ومن فوائد هذه القصة العلم بأن بعض الاسراييليين كانوا مقرين من الفراغته لاحاسامهم خذتهم وكانوا أصحاب ثروة واسعة على ما في به قومهم من الظلم والاضطهاد، ومنها تميل عشق فرعون لفتاة وتذللها بأن نساءه على جمالهن البارح كن يعامنه

معاملة العبد للمعبود وان حظ الرجل الطبيعي من المرأة هو ان يكون لها سلطان على قلبه نظير سلطانها على قلبها وان يامل كل منهما الآخر معاملة انظير للنظير في الشؤون الزوجية وذلك ما أعوز فرعون حتى التمس في عشق الفتاة فوجده لولا انه لم يستطع امتلاك قلبها كما ملكها قلبه . ومن الخطأ فيها نسبة الكذب الى موسى عليه السلام ووزعم ان فرعون لم يكن يعرفه قبل بعثته وانه بعث وهو شيخ كبير وان العصا كانت هرون وكان هو الذي يعمل بها المعجائب بأمر موسى عليهما السلام وغير ذلك وهو خطأ صار . اما ترجمة الرواية فحسنة و مترجمها تقولوا اندي رزق الله وهي تطلب منه ومن المكاتب الشهيرة بمصر ومن النسخة ٨ قروش

بِأَنَّ الْحَبِيبِ الْأَكْبَرَ

﴿ وفاة حسن باشا ناظر البحرية ﴾

نقل ترجمة هذا الوزير عن جريدة (محمدان) الهندية كما نقلتها عن جريدة الاخبار الاسلامية (مسلم كرونكل) وهي رسالة لمكاتب هذه في لندن مأخوذة من رسالة من الاستاذة كتبت في اليوم الثالث لموت الوزير . وقد نشر في بعض الجرائد المصرية ترجمة الرجل على نحو ما في جريدة الدولة الرسمية خالية من كل عبرة وفائدة وذلك ان جرائد المسلمين في مصر تنحو في الاخبار العثمانية منحى جرائد الاستاذة وسوريا وهي لا تنكاد تنشر الا ما يوافق الالهواء . ومن هنا استدلت على كون جرائد المسلمين في الهند ارقى حرية من أخواتها في مصر ولعل سبب ذلك ان القارئين صاروا هنالك ارقى منهم هنا في الحرية اذ يجوز ان يعرفوا الحقيقة لان يتلذذوا بالمدح وان كان كذباً . قال المكاتب ما تعريبه :

الرأي العام مجمع على ان قوة الدولة العثمانية الحربية توازن قوة أية دولة من الدول الكبرى ولكن بحرية الدولة صارت من عدة سنين قرحافي جسمها ومرضاني بنيتها وقد كانت الى عهد حرب القريم بحيث لا تقل عن قوة فرنسا وروسيا ان لم تكن من أعلى القوى البحرية . لذلك كان مما يثير العجب ان لا يكون لتركيا موقف مع الدول البحرية لهذا العهد . وقد علم قراء (الكر و نكل) من رسائلي السابقة في هذا الموضوع الأسباب والاحوال



التي جعلت بحرية الدولة الى هذا الحضيض. وكل هذا الهبوط والتأخر ينسب الى رجل واحد استحق لمن الامة التركية - هذا الرجل البفيض هو حسن باشا حسني

مات حسن باشا حسني ناظر البحرية العثمانية أول أمس وكان يرجو الناس موته من زمن بعيد وكان موته في قصره بانكوروششمه على ضفة البوسفور وهو في سن الثمانين ولم يعرف في تاريخ البشر من أول الخليقة الى الآن رجل كان أشد بغضا ومقتا الى أمته من هذا الرجل الذي مكث في منصبه هذا نحو ربع قرن. ولي البحرية العثمانية وهي في الدرجة الثانية من قوى البحرية الاوربية وتركها وهي أدنى القوى البحرية في العالم وأضعفها. واقد تستحوذ الدهشة على الانسان وتملكه الحيرة اذا حاول فهم سبب اهل البحرية من دولة حرية عارفة بمكافة القوى البحرية في هذا العصر. على ان هذا الناظر لم يكن أقل علما من أعظم أمراء البحر في أوروبا بل المشهور عنه أنه كان من أمثل أمراء البحر في الدول البحرية العظمى وأمهرهم وأحدثهم ولكن هذا الرجل الذي كان من أكبر رجال الدولة هو الذي أضف تلك القوة العظمى عامدا متعمدا وقد وصفته احدي الجرائد التركية اليوم بأنه أعظم عيب السلطان أمانة وأشدهم استقامة ولكن أفكارنا وشكل الحكومات الراقية في هذا العصر يحولان دون الاعتقاد بأن الخائن لامته ودولته، يكون ناصحا لسلطانه وصادقا في خدمته، ذلك لان النصح للحاكم والاخلاص في خدمته أمران لازمان لحكومته اذ لا معنى لخدمة الحاكم من حيث هو حاكم الا خدمة الحكومة التي هو رئيسها. وكان فساد طوية حسن باشا وتركه محاسبة نفسه واستفتاء قلبه حال دون التميز بين الرجل من حيث هو حاكم ومن حيث هو شخص ربما يرجي نفعه ويخشى ضرره. لذلك كان يقضي ليله ونهاره مدة ربع قرن في تجريد السفن الحربية من جميع عدتها التي تكون بها صالحة للحرب. ولا يدري أحد من الناس أين صرفت الاموال العظيمة المخصصة للبحرية في ميزانية للدولة اذ لم يطالبه أحد بحسابها بل كان مطلق التصرف وتمتعا بالسلطة التامة في نظارته الى آخر حدودها وكان يولي ويعزل من شاء من غير سؤال ولا مراقبة من أحد نافذ الرأي مطاع الامر في نظارته وفي مجلس الوزراء بل وفي قصره بلذ نفسه.

واقدمات موته شذيمة سببها مرض ماث في جسمه سنة كالتة كان فيها موضعا لسبب من نوعا

من الاعمال الجراحية وذق في من الآلام ما لا يطاق، وكان مجمهجم وهو يتقلب في غمرات الموت بهذه الكلمة توبة وندما ما جئت اذ جئت وحدي ولكن كان لي شركاء؛ او ما هو في مضاهها وسيكون موته عبرة لغيره ممن يدفون الى الجري على سنه

عين حسن باشا ناظرا للبحرية ولم يكن يملك شيئا حتى ولا يتنا يقيم فيه ومات بالامس وهو يكاد يكون أغنى رجل في تركيا وتقدر ثروته المنقولة والثابتة بنهاية ملايين من الجنيهات وكان دخله السنوي مئتي ألف جنيه وكان يشتري كل ما يباع حينها وجدده وإن لم يكن قادرا على كمال الانتفاع به لانه لم يكن يسمح له بالخروج من القسطنطينية. وقد أقبل الناس هنا (الاستانة) على الجرائد التي ائتمه بالامس واشتروا منها عددا عظيما وقد أخذتهم روعة من السرور استفرقت شعورهم وطفق يهني بعضهم بعضا بالجهر من القول بكمال الحرية، وكان الفرح علما في السواحل البحرية فان أتراك الاستانة وسواحل البحر الاسود وبحر مرمره والساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط وخليج المعجم مولعون جدا بالبحرية فالسفينة المدرعة أبهى في نظرهم من الخميس المرصم من الجيش. ولو كانت ترجة الرجل الرسمية مما يستحق العناية لنقاتها من الجريدة الرسمية بحروفها ذلك أن أعماله قليلة جدا فلا نصيب لها من التطويل

كان حسن ولدا لباشا فريقي في البحرية ولا ينبغي ان يقتدانه ارتقى بنسبه بل كان انجب التلامذة في المدرسة والمقدم في فرقته ومحبو بالكل اساتذته ولما نال الشهادة من المدرسة البحرية التي كانت وقتئذ حديثة النشأة عين ملازما في السفينة المسماة (خداداد) وقام بخدمة الحكومة في البحر المتوسط على سواحل افريقيه وسواحل الجبل الاسود وجزيرة كريدو والبحر الاحمر وشهد حرب القريم وأبلى بلاء حسنا في حرب سيدياستبول وكان يومئذ أمير عمارة البحر الاسود في الحرب الروسية العثمانية الاخيرة وقد أعجب الناس بنجاحه ومهارته يومئذ في إنزال الجنود العثمانية في باطوم

ترك حسن باشا اثني عشر ولدا أكثرهم مستخدمون في دار الصناعة (الترسانة) العثمانية. وكان يتكلم بالتركية واليونانية والانكليزية

— فتنة بيروت —

في بيروت رهط من الأشقياء يسفكون الدماء ويهينون الوجهاً ويسلكون في شرورهم مسلك التحميس الديني فيزعمون انهم ينصرون الدين بفسادهم فاذا سمع

للمسلم منهم ان نصرانياً أهان مسلماً أو قتله يفعل كما يفعل النصراني اذا سمع بمثل ذلك يتنقم كل منهما للمنتسب الى دينه وان كان مجهولاً من أي مخالف له وان كان بريئاً لم توجد شريعة وضعية فضلاء عن شريعة الهية تأمر بأخذ البري بجريرة الاثم لأنه يشاركه في الانتساب الى الدين . وأشهر هؤلاء الاشقياء جان اسمه الياس الحلبي فقد بلغنا عنه انه اذا عزم على الفتك بمسلم ما يذهب أولاً الى الكنيسة فيسجد للسيدة العذراء عليها السلام ويمس صورتها بسلاحه ويطلب منها الاعانة على الفتك باعدائه واعدائها . وما كان المسلمون من اعدائها فانهم يبرثونها من الدنس ويحكمون بكفر قاذفها . ثم ينطلق الى جنباته قريير العين معتقداً أنه مؤيد بتلك الروح الطاهرة التي هي أبعاد الارواح عن الرضى عهنا المدوان والشر الكبير . ويجعل هذا الشرير وصايا الانجيل بمحبة الاعداء ولا يجد من يذكره هو وأمثاله بها كما لا يجد أشرار المسلمين من يذكرهم بوصايا الكتاب والسنة ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا ظلم أهل الذمة أدبوا للعدو » رواه الطبراني عن جابر بانفظ « كانت الدولة دولة العدو » وقوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد روح الجنة » الخ رواه احمد والنسائي وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية » : رواه ابو داود عن جبير بن مطعم . وقوله عليه السلام « العصبية ان تعين قومك على الظلم » رواه البيهقي عن واثلة ونحو هذه الاحاديث بل اننا نسمع ان من وجهاء الطائفتين من يساعد اشقياءها حتى ان الياس الحلبي قدرت له بعض الاغنياء في بيروت وكبار الموظفين في لبنان الرواتب الكافية ولا أحب أن أذكر أسماءهم . وأعجب من هذا وذاك ان الوالي رشيد بك الذي عهد اليه السلطان حفظ الامن كان هو الذي يفري بعض الاشقياء ببعض لينتفع من الفريقين وكل أهل بيروت ولبنان يعرفون هذا وقد نوهنا بسوء سيرته في السنة الأولى والسنة الثانية من المنار وقلنا ان السماء والارض تستجبران من ظلمه ولكن من يسمع لنا اذا كانت الاستانة لم تسمع من المتظلمين من رعيته شكواهم عليه فقد علمنا ان طائفة من أهل بيروت شكوه بالبرق الى السلطان وقد كان علم فسببهم وأرسل اليه يقول ان طائفة من شعبة الترك الاحرار قسد أعيتهم الحيل في تدبي حركاتهم وسكناتهم فارادوا ان

إهدأ يتظاهروا نبي إلى مولاي بأمر تجرمون بها : فقبل السلطان قوله ولم يسمع لهم شكوى .

هذا الأهل جبراً إلى تفاقم الشرور ، وتفاؤل الاحقاد في الصدور ، فكانت توري كما قدحت الحوادث بزندها حتى اذا قتل في آخر الاسبوع الأسبق بعض الأبرياء من المسلمين انفجر البركان ، وتلاحم الفريقان ؛ وكان في أول الاسبوع الماضي ما كان ، كانت في بيروت فتنة عامة قتل فيها كثيرون من الطائفتين وجرح الكثيرون وتم الجند في إخماد النار وقتل منهم أفراد وهو أمر لم يسبق له نظير وزح عشرات الألوف من النصارى إلى جبل لبنان ؛ فعملوا معاملة الأخوان للأخوان ، ودخل وكلاء الدول في الأمر وطلبوا من الوالي العوي رشيد بك ان يتعهد بحفظ الأمن فأبى لعامة بأنه هو المجرى بسوء سيرته لجميع الأشقياء بالعدوان ، حتى لم يبق له عليهم سلطان ، وقد ثبت هذا للقناصل بالبحث والاختبار فكتبوا بذلك إلى دولهم وكان ذلك سبباً في عزل الوالي العوي وصدور الأمر لوالي سوريا ناظم باشا بالقدوم إلى بيروت وإعادة الأمن ومعاينة الجناة إلى ان يمين لها وال جديد فصعد بالأمر وأعاد الأمن وأمر الناس بالعود إلى أشغالهم بعد ما أنزلت الخازن والدكاكين وبطلت الأعمال كلها فابى النصارى الامتثال وقال مطران الروم للوالي ان أبناء طائفته لاثمة لهم بالأمن الا أن يكون بمهد من الدول الأجنبية . والحق أنهم يثقون به في قلوبهم ولكنهم اقتصدوا الحادثة لطلب ما ذكر

هذا ما يطمع فيه قوم منهم وبعضهم يطمع في جعل بيروت تابعة للجيل وظنوا ان هذه الحادثة فرصة تغتم ويرجى فيها أن تساعد الدول على إلحاق فتكون حكومة عروس سوريا أو عروس المملكة العثمانية (بيروت) مسيحية كما ان اقواها المالسة والأدبية مسيحية وهم معذورون في هذا الطلب وذلك من حيث هم مسيحيون إذ لو كنت في موقع كموقعهم لتمنيت ان يكون حاجمي مسلماً ، ولكن لا عنبر لمن يهدون لهم السبل لذلك من المسلمين بل الواجب عليهم ان لا يدعوا لهم منفذ للشكوى ان استطاعوا . وأمرني ان الحكومة قادرة على ذلك اذا كان الوالي مثل ناظم باشا وانني سمعت الناس في سوريا يلهجون بأن مدحت باشا كان ألف بين نفرين في بيروت كسائر سوريا حتى صاروا كالأخوة في التعامل ويعتقدون ان ناظم باشا قادر على مثل هذا التأليف لاسيما اذا علم انه يرضى السلطان لما وقعت الحادثة وردت الرسائل من النصارى إلى الخرائد السورية ومن المسلمين

الى الجريدة الاسلامية (المؤيد) في شرح الحادثة وكل فريق يلقي انبئة على الآخر ويهد نفسه مظلوما وقد انتصرت كل جريدة اقومها معتمدة على ما كتب اليها وطفقت جرائد السوريين تلوم المؤيد بأنه انتصر للمسلمين تصبا لهم وتندى نفسها مع ان السوريين أعلم من المؤيد بنجث الفريقتين ولهم علم بجزماني الرسائل من المبانفة ودونه وكانوا يقولون ذلك أحيانا مع الإيحاء على المسلمين خاصة الان جريدة الاهرام كتبت كتابه المتهاني المعتدل الذي يريد المصاحفة وان نشرت رسائل لغير المعتدلين. ولو كان لي سلطان على الجرائد لالزمتها بأن تكتتب في تأنيب الطائفتين كما كتبت جرائد بيروت الاسلامية والمسيحية (لاجرائد لبنان) بل لألزمت المسلم بشدة لوم المسلمين وانصراني بشدة لوم انصارى لان هذا هو الانفع في رأبي

سعاية خائبة

لما علم بعض الاشرار بالطبع ان الاستاذ الامام يقصد في صيف هذا العام زيارة بلاد الجزائر وبلاد تونس افتحصوا ذلك فكتبوا في السعاية به الى حكومة الجزائر رسالتين إحداهما أرسلت من مصر والاخرى من الاسكندرية باسم الحاكم الفرنسي العام وفيهما ما فيها من قول الزور والاغراء بالامام بزعمانه لا يقصد بالسفر الى الجزائر الا تحريض المسلمين على الثورة والخروج على الحكومة ونبدطاعتها وانه قادر على ذلك... كما كتبوا بمثل ذلك الى الاستانة عند ما توجه الى زيارتها منذ عامين كتبوا هذا لاعتقادهم ان الحكومة الفرنسية هناك حكومة خرقاء تأخذ بالشبهة وتنتقم من البري لادنى وهم يوسوس به شيطان من شياطين الانس ، أو يهجس به في الخاطر عفريت من الجن ، ولظنهم ان الحكومة الفرنسية تجهل قدر الاستاذ الامام ومقامه الديني. ولكن الحكومة الفرنسية فوق أو هامهم وأحلامهم فقد بلغنا انها قد تلقت الرجل العظيم بالحفاوة والاجلال اللائقين بشخصه وبمقامه الديني والعالمي كإتلقاه في انكلترا كبراه الانكليز وعلماؤهم ، فسر بهذه المعاملة الحسنة لاشهر أئمة المسلمين في هذا العصر مسلمو الجزائر ورأوا ذلك دليلا على حسن قصد حكومتهم وحسن سياستها فليعتبر فضلاء المصريين بهؤلاء الاباسة الذين يعز عليهم ان يوجد في الامة رجل جليل عالي القدر محترم المقام حتى انهم يبذلون جهدهم في تميم الكذب ليحملوا الاجانب على اهانة ساداتهم وأئمة الدين الذي ينتسبون اليه وان كان يتبرا منهم . ولو شاء الفضلاء الانتقام الاذي من هؤلاء الاشرار لنعلموا ولسكنهم لا يتفقون



فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المعجزة

١٣١٥

بوتني الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أتني خيرا كثيرا وما
يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الأربعماء ١٦ رجب سنة ١٣٢١ — ١٧ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٠٣)

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة

(تابع لما في الجزء الثالث عشر)

ويقال (سادس عشر) كل طائفة منكم معاشر المقلدين قد أنزلت جميع الصحابة من أولهم إلى آخرهم وجميع التابعين من أولهم إلى آخرهم وجميع علماء الأمة من أولهم إلى آخرهم إلا من قلده تمويه في مكان من لا يعتد بقوله، ولا ينظر في فتواه، ولا يشتغل بها، ولا يعتد بها ولا وجه للنظر فيها إلا للتمحل وإعمال الفكر وكده في الرد عليهم، إذا خالف قولهم قول متبوعه وهذا هو المسوغ للرد عليهم عندهم فإذا خالف قول متبوعهم نصا من الله ورسوله فالواجب التمثل والتكلف في إخراج ذلك النص عن دلالته، والتحويل لدفعه بكل طريق حتى يصح قول متبوعهم، فيالله لدينه وكتابه وسنة رسوله ولبدعة كادت تتل عرش الإيمان وتهد ركنه لولا أن الله ضمن لهذا الدين إذا ليزال فيه من يتكلم بأعلامه ويذب عنه، فمن أسوأ نساء على الصحابة والتابعين، وسائر علماء المسلمين، وأشد استخفافا بمحقوقهم، وأقل رعاية لواجبها، وأعظم استهانة بهم، ممن لا يلتفت إلى قول رجل واحد منهم ولا إلى فتواه غير صاحبه الذي أتخذه وليجة من دون الله ورسوله.

ويقال (سابع عشر) من أعجب أمركم أيها المقلدون انكم اعترفتم وأقررتهم على أنفسكم بالعجز عن معرفة الحق بدلياه من كلام الله وكلام رسوله مع سهولته وقرب مأخذه واستيلائه على أقصى غايات البيان، واستحالة التناقض والاختلاف عليه، فهو نقل مصدق عن قائل معصوم وقد نصب الله سبحانه الأدلة الظاهرة على الحق، وبين لعباده ما يتقون، فادعيتهم العجز عن معرفة ما نصب عليه الأدلة وتولى بيانه ثم زعمتم انكم قد عرفتم بالدليل ان صاحبكم أولى بالتقليد من غيره وأنه أعلم الأمة وأفضاهم في زمانه وهم جرا وغلاة كل طائفة منكم توجب اتباعه وتحرم اتباع غيره كما هو في كتب أصولهم. فمعجبا كل المعجب لمن خفي عليه الترحيح فيما نصب الله عليه الأدلة من الحق ولم يهتد إليها واهتدى إلى أن متبوعه أحق وأولى بالصواب ممن عداه ولم ينصب الله على ذلك دليلا واحداً.

ويقال (ثمان عشر) أعجب من هذا كله من شأنكم معاشر المقلدين انكم إذا

وجدتم آية من كتاب الله توافق رأي صاحبكم أظهرتم أنكم تأخذون بها والعمدة في نفس الأمر على ما قاله لإعلى الآية وإذا وجدتم آية نظيرها تخالف قوله لم تأخذوا بها وتطلبتم لها وجوه التأويل واخراجها عن ظاهرها حيث لم توافق رأيه وهكذا تفعلون في نصوص السنة سواء - إذا وجدتم حديثاً صحيحاً يوافق قوله أخذتم به وقلتم لنا قوله صلى الله عليه وآله وسلم كيت وكيت وإذا وجدتم مثله حديث صحيح بل أكثر تخالف قوله لم تلتفتوا إلى حديث منها ولم يكن لكم منها حديث واحد فقولوا لنا قوله صلى الله عليه وآله وسلم كذا وكذا وإذا وجدتم مرسلًا قد وافق رأيه أخذتم به وجعلتموه حجة هناك وإذا وجدتم مثله مرسل تخالف رأيه اطرختموها كلها من أولها إلى آخرها وقلتم لا تأخذ بالمرسل .

ويقال (تاسع عشر) أعجب من هذا انكم إذا أخذتم بالحديث مرسلًا كان أو مسندًا لموافقته رأي صاحبكم ثم وجدتم فيه حكمًا يخالف رأيه لم تأخذوا به في ذلك الحكم وهو حديث واحد وكان الحديث حجة فيما وافق رأي من قلدهتموه وليس بحجة فيما خالف رأيه ولتذكر من هذا طرفًا فإنه من عجيب أمرهم .

(١) فاحتج طائفة منهم في سلب طهورية الماء المستعمل في رفع الحدث بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يتوضأ الرجل بفضله وضوء المرأة والمرأة بفضله وضوء الرجل وقالوا الماء المنفصل عن أعضائها هو فضل وضوءها . وخالفوا نفس الحديث فجوزوا الكل منهما أن يتوضأ بفضله طهور الآخر وهو المقصود بالحديث فإنه نهى أن يتوضأ الرجل بفضله وضوء المرأة إذا خلت وليس عندهم للخلو أثر ولا لكون الفضلة فضلة امرأة أثر فخالفوا نفس الحديث الذي احتجوا به وحملوا الحديث على غير محمله إذ فضل الوضوء بيقين هو الماء الذي فضل منه ليس هو الماء المتوضأ به فإن ذلك لا يقال له فضل الوضوء فاحتجوا به فيما يرد به وأبطلوا الاحتجاج به فيما أريد به .

(٢) ومن ذلك احتجاجهم على نجاسة الماء بالملاقاة وإن لم يتغير بنهيه صلى الله عليه وآله وسلم

أن يبالي في الماء الدائم ثم قالوا لو بآل في الماء الدائم لم ينجسه حتى ينقص عن قلتين

(٣) واحتجوا على نجاسته أيضا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « إذا استيقظ

أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً » ثم قالوا لو غمسها قبل

- غسلها لم يجس الماء، ولا يجب عليه غسلها وإن شاء أن يغمسها قبل الغسل فعل .
- (٤) واحتجوا في هذه المسئلة بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بحفر الأرض التي بال فيها البائل وإخراج ترابها ثم قالوا لا يجب حفرها بل لو تركت حتى يبيت بالشمس والريح طهرت
- (٥) واحتجوا على منع الوضوء بالماء المستعمل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «يا بني عبد المطلب إن الله كره لكم غسالة أيدي الناس» يعني الزكاة ثم قالوا لا يحرم الزكاة على بني عبد المطاب، (لعل الصواب بني المطاب)
- (٦) واحتجوا على أن السمك الطافي إذا وقع في الماء لا يجسه بخلاف غيره من ميتة البر فإنه يجس الماء بقوله صلى الله عليه وآله وسلم في البحر «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» ثم خالفوا هذا الخبر بعينه وقالوا لا يحمل مامات في البحر من السمك ولا يحمل شيء مما فيه أصلاً غير السمك
- (٧) واحتج أهل الرأي على نجاسة الكلب وولوغه بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إذا وانح الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات» ثم قالوا لا يجب غسله سبعاً بل يغسل مرة ومنهم من قال ثلاثاً
- (٨) واحتجوا على تفريقهم في النجاسة المغلظة بين قدر الدرهم وغيره بحديث لا يصح من طريق غطيف عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة يرفعه «تعاد الصلاة من قدر الدرهم» ثم قالوا لا تعاد الصلاة من قدر الدرهم
- (٩) واحتجوا بحديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الخبزة (١) في الزكاة في زيادة الأبل على عشرين ومئة إنهما ترد إلى أول الفريضة فيكون في كل خمس شاة وخالفوه في اثني عشر موضعاً منه
- ثم (١٠) احتجوا بحديث عمرو بن حزم أن ما زاد على مئتي درهم فلا شيء فيه حتى يبلغ أربعين فيكون فيها درهم وخالفوا الحديث بعينه في نص ما فيه في أكثر من خمسة عشر موضعاً (٢)
- (١١) واحتجوا على أن الخيار لا يكون أكثر من ثلاثة أيام بحديث المصراة وهذا من إحدى المعجائب فاتهم من أشد الناس إنكاراً له ولا يقولون به فإن كان

(١) النار : لعل الصواب (في الحق) فإنه يقول في الزيادة في كل خمسين حقة (٢) الحديث عند النسائي

وغيره وهو طويل وفيه «وفي كل خمس أوراق من الورق خمسة دراهم فما زاد ففي كل أربعين درهما درهم»

حتمًا وجب اتباعه وان لم يكن صحيحًا لم يجز الاحتجاج به في تقدير الثالث مع انه ليس في الحديث تعرض لخيار الشرط فالذي أريد بالحديث ودل عليه خالفوه والذي احتجوا عليه به لم يدل عليه .

(١٢) واحتجوا لهذه المسئلة أيضا بنجر حبان بن منقذ الذي كان يفن في البيع فجعل له النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخيار ثلاثة أيام . وخالفوا الخبر كانه فلم يثبتوا الخيار بالبن ولو كان يساوي عشر معشار ما بذله فيه وسواء قال المشتري: لا خلافة: أو لم يقل وسواء غبن قليلا أو كثيرا لا خيار له في ذلك كانه

(١٣) واحتجوا في ايجاب الكفارة على من أفطر في نهار رمضان بأن في بعض ألفاظ الحديث ان رجلا أفطر فأصره النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يكفر ثم خالفوا هذا اللفظ بعينه فقالوا ان استف دقيقا أو بلع عجينا أو أهليا جأ أو طيبا أفطروا لا كفارة عليه .

(١٤) واحتجوا على وجوب القضاء على من تعمد اتى بحديث أبي هريرة ثم خالفوا الحديث بعينه فقالوا ان تقيا بأقل من ملء فيه فلا قضاء عليه

(١٥) واحتجوا على تحديد مسافة الفطر والقصر بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تسافر مسافة ثلاثة أيام الامع زوج أو ذي محرم» وهذا مع انه لا دليل فيه البتة على ما ادعوه فقد خالفوه نفسه فقالوا يجوز لامملوكة والمكاتبه وأم الولد السفر مع غير زوج ومحرم

(١٦) واحتجوا على منع المحرم من تغطية وجهه بحديث ابن عباس في الذي وقصته ناقته وهو محرم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لا تخمروا رأسه ولا وجهه فإنه يبعث يوم القيامة مليا» وهذا من العجب فإنهم يقولون اذا مات المحرم جاز تغطية رأسه ووجهه وقد بطل احرامه .

(١٧) واحتجوا على ايجاب الجزاء على من قتل صيدا في الاحرام بحديث جابر انه أفتى بأكلها وبالجزاء على قاتلها واسند ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم خالفوا الحديث بعينه فقالوا لا يحل أكلها .

(١٨) واحتجوا فيمن وجبت عليه ابنة مخاض فأعطى ثائي ابنة لبون فساوى ابنة مخاض أو حمارا يساويها انه يجزئه بحديث أنس الصحيح وفيه من وجبت عليه

ابنة مخاض ليست عنده وعند ابنه ابون فاتها تؤخذ منه ويرد عليه الساعي شاتين أو عشرين درهما وهذا من العجب فانهم لا يقولون بما دل عليه الحديث من تعيين ذلك ويستدلون على ما لم يدل عليه بوجه ولا أريد به .

(١٩) واحتجوا على إسقاط الحدود في دار الحرب اذا فعل المسلم أسبابها بالحديث « لا تقطع الأيدي في الغزو » وفي لفظ « في السفر » ولم يقولوا بالحديث فان عندهم لأثر للحفر ولا للغزو في ذلك .

(٢٠) واحتجوا في ايجاب الاضحية بحديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بالاضحية وان يطعم منها الجار والسائل فقالوا لا يجب ان يطعم منها جار ولا سائل .

(٢١) واحتجوا في إبادة ما ذبحه غاصب أو سارق بالخبر الذي فيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعي الى طعام مع رهط من أصحابه فلما أخذ لقمة قال « اني أجد لحم شاة أخذت بغير حق » فقالت المرأة : يا رسول الله اني أخذتها من امرأة فلان بغير علم زوجها : فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان تطعم الأسارى وقد خالفوا هذا الحديث فقالوا ذبيحة الغاصب حلال ولم يحرم على المسلمين ،

(٢٢) واحتجوا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « جرح المجرم جبار » في إسقاط الضمان بجناية المواشي ثم خالفوه فيما دل عليه وأريد به فقالوا من ركب دابة أو قاده أو سقاها فهو ضامن لما عضت بفمها ولا ضمان عليه فيما أتلفت برجلها .

(٢٣) واحتجوا على تأخير القود الى حين البرء بالحديث المشهور ان رجلا طعن

آخر في ركبته بقرن فطلب القود فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « حتى يبرأ » فأبى فأقاده قبل أن يبرأ بالحديث وخالفوه في القصاص من الطعنة فقالوا لا يقتص منها .

(٢٤) واحتجوا على إسقاط الحد عن الزاني بأمة ابنه أو أمّ ولده بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « أنت ومالك لأبيك » وخالفوه فيما دل عليه فقالوا ليس للأب من مال ابنه شيء البتة ولم يبيحوا له من مال ابنه عود أراك فما فوقه ووجبوا حبسه في دينه وضمان ما أتلفه عليه .

(٢٥) واحتجوا على أن الامام يكبر اذا قال المقيم : قد قامت الصلاة : بحديث بلال أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تسبني بآمين : ويقول أبي هريرة مروان : ان

لا تسبني بآمين: ثم خالفوا الخبر جهاراً فقالوا لا يؤمن الامام ولا المأموم.

(٢٦) واحتجوا على وجوب مسح ربيع الرأس بحديث المفيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسح بناصيته وعمامته ثم خالفوه فيما دل عليه فقالوا لا يجوز المسح على العمامة ولا أثر للمسح عليها البتة فان الفرض سقط بالناصية والمسح على العمامة غير واجب ولا مستحب عندهم . (ها بقية)

باب الاسئلة والاجوبة

(الدليل على اشتراط الاسلام في القاضي)

(س١) رضاء الدين أفندي قاضي القضاة ببلدة (اوقا) في الروسيه : انه يستفاد من كتب الفقهاء متأخريهم ومتقدمهم اشتراط الاسلام في القاضي الذي يقضي فيما بينهم ولا سيما في الدعاوي التي تخص العائلات مثل النكاح والطلاق وثبوت النسب والرضاع بمعنى ان قضاء غير المسلم في هذه الامور فيما بين المسلمين لا يصح ولا ينفذ اذا قضي فيه لظاهره ولا باضاه ولكن هل يوجد لهذا الاشتراط دليل صريح من القرآن الشريف أو السنة المباركة . فخرجوا من حضرة الاستاذ الاحسان بالجواب في المنار بحيث يقع المشبه المتصف . والفقيه يظن وان لم يتيسر له الاطلاع الى دليله القاطع ان القضاء فيما بين أهل الاسلام خصوصاً في الدعاوي التي تتعاق بالزوجية وعدمها وثبوت الانساب من المناصب الدينية لا يجوز من غير المسلم أصلاً ولو كان عالماً حق العلم قواعد الشريعة الاسلامية . كما أن غير المسلم لا تجوز امامته في الصلاة وان كان عارفاً بحكامها بأسرها والعجب من صاحب الهداية مع التزامه ذكر طريق الاستدلال في كل مسألة وابن الهمام في الفتح مع تجرد في علم السنة وأصول الاستدلال لم يذكر في هذه المادة ما يشفي العليل والله أعلم .

(ج) القضاء ولاية وسلطة مدنية دينية أهم شروطها العلم بالكتاب والسنة والقدرة على الاستنباط وكون المستنبط الذي ينفذ حكمه وتجب طاعته مسلماً والاصل في ذلك قوله تعالى « وأولي الامر منكم » وقوله تعالى في الامر المتنازع فيه « وَأَوْ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » فقوله منكم ومنهم يعني به المسلمين . وقوله تعالى « وَأَنْ يَجْهَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا »

فهذه الآيات أدلة واضحة في المقصود، وقد استدل بالآية الأخيرة صاحب كتاب (الاحكام السلطانية) على اشتراط الاسلام في القاضي، ويصح ان يستدل على ذلك أيضا بمثل قوله تعالى « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » فهذا يشمل جميع أنواع الولاية العامة والخاصة ومن ثم كان اشتراط الاسلام في القاضي مجتمعا عليه عند المسلمين والأحاديث الواردة في القضاء مبنية على شيء معروف في الاسلام وهو كون القاضي مسلما وقد جرى على ذلك الصحابة ومن بعدهم من المسلمين فقد قلدهم والذين ضروبا من الاعمال ولكن لم يخلوهم القضاء وقد قال الماوردي في (الاحكام السلطانية) بجواز كون وزير التنفيذ ذميا دون وزير التفويض لان هذا الثاني يحكم ويولي ويجب أن يكون مجتهدا في الدين

وإذا نظرنا في المسألة بعين القياس نجد العلة ظاهرة فالقاضي عند المسلمين هو ولي من لولي له في كثير من الاحكام الدينية فهو يزوج المسلمة اذا غاب الولي أو فقد أو عضل وهو يطلق على الزوج ويفسخ العقود الزوجية عند ما تقتضي المصلحة ذلك، وامثال هذه الاحكام خاصة برجال الدين في عرف جميع الامم، وتقاليد جميع الملل والنحل، ولعل صاحب الهداية وشارحها لم يباحاجة للتوسع في الاستدلال على مسألة إجماعية لانزاع فيها على ان طريقتهما في الاستدلال هي كما ذكرتم بالنسبة الى كتب الحنفية التي نرى أكثرها غفلا من الاستدلال ولكن لو تعقبها المحدث الفقيه في السنة لين تقصيرها في مواضع كثيرة جدا ولا أقول في أكثر المواضع

﴿تحريم تحليل المطلقة ثلاثا وبدع المحللين﴾

(س ٢) عوض أفندي محمد الكفراوي يزفني : لما كنت الرجل الوحيد الذي

يذب عن الدين جنتك راحيا الاجابة عن السؤال الذي تجده بهذه الصحيفة وهو : هل يجوز في أعمال الخلل للمطلقة ثلاثا ان يكون علما بذلك ؟ وان كان يجوز فهل العادة التي اتخذها المأذونون في صيغة العقد صحيحة وهي ان يقول الرجل « بالتقاء الختانين تكون الزوجة مطلقة » فهل يجوز العقد بذلك أم لا ؟ ثم انه يوجد في أكثر البنادر رجال مخصوصون للتحليل لا كسب لهم الا منه فتجد الرجل يتزوج المرأة للتحليل ثم يتزوج بعد أختها أو خالتها أو عمها لهذه الغاية. فما قولكم في ذلك وفي سكون المحكمة عليه

(ج) اعلم ان المطلقة ثلاث مرات لا تحل لمن طلقها الا اذا تزوجت غيره زواجا صحيحا شرعيا ثم اتفق ان مات زوجها الثاني أو طلقها وهذا التحليل المعروف ليس بزواج شرعي لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعن فاعله واللعنة لا تكون على سنة من سنن الدين والفقرة وإنما تكون على الكبار من الماصي وليس بزواج عرفي اذ لا يقول الناس في المحال انه متزوج ، وقد روي عن كثير من أئمة السلف القول بأن المقدم المقصود به التحليل غير صحيح وجوز به بعض الفقهاء بالرأي مع الكراهة الشديدة اذا لم يشترط في العقد ان يطاق أو نحو ذلك من الشروط الفاسدة والقول بالجواز غير سديد ، وما أمر فاعله برشيد ، ولا يليق بمحاسن الشريعة الآلية . ان تنسب اليها هذه الفضيحة الشيطانية ، واننا نبد أولا بما جاء في «الزواج» من حكاية الجواز وعدمه ثم نبين مفساد هذه البدعة الذميمة فقول: قال الفقيه ابن حجر الهيثمي في الجزء الثاني من الزواج مانصه :

الكبيرة الستون والحادية والستون والثانية والستون بعد المائةين

(رضا المطلق بالتحليل وطواعية المرأة المطلقة عليه ورضا الزوج المحلل به)

أخرج أحمد والنسائي وغيرهما بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ألا أخبركم بالتيس المستعار» قالوا بلى يا رسول الله قال «هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له» قال الترمذي والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر وابنه وعثمان رضي الله عنهم وهو قول الفقهاء من التابعين وأبو اسحق الجوزجاني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحلل فقال «لا الانكاح رغبة لانكاح دلسة ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل ثم تذوق العسيلة» وروى ابن المنذر وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والاثرم عن عمر رضي الله عنه أنه قال : لا أوتى بمحلل ولا محلل له الا رجتهما؛ فسئل ابنه عن ذلك فقال : كلاهما زان؛ وسأل رجل ابن عمر فقال : ما تقول في امرأة تزوجتها لأحلها لزوجها لم يأمرني ولم يعلم؟ فقال له ابن عمر : لا الانكاح رغبة ان أعجبتك أمسكتها وان كرهتها فارقها وإنما كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وسئل عن تحليل

المراء لزوجها فقال: ذلك هو السفاح: وعن رجل طلق ابنة عمه ثم ندم ورجب فيها فأراد أن يتزوجها رجل ليحلها له فقال: كلاها زان وان مكنا عشرين سنة أو نحوها اذا كان يعلم أنه يريد أن يحاها: وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن طلاق امرأته ثلاثاً ثم ندم فقال: هو عصى الله فأندمه وأطاع الشيطان فلم يحمل له مخرجاً: قيل له: فكيف ترى في رجل يحاها؟ فقال: من يخادع الله يخدعه: (تنبية) عد هذا كبيرة هو صريح ما في الحديثين الأولين من اللامن وهما محمولان عند الشافعي رضي الله عنه على ما اذا شرط في صلب نكاح المحلل أنه يطلق بعد أن يظاً أو نحو ذلك من الشروط المفسدة للنكاح وحينئذ التحليل كبيرة فيكون كل من المطلق والمحلل والمرأة فاسقاً لاقدامهم على هذه الفاحشة وعلى ذلك يحمل اطلاق غير واحد من الشافعية أن التحليل كبيرة اذ هو بدون ذلك مكروه لا حرام فضلا عن كونه كبيرة ولا عبرة بما أضمره ولا بالشروط السابقة على العقد. وأخذ جماعة من الأئمة باطلاق الحديثين فحرموا التحليل مطلقاً منهم من ذكرناه من الصحابة والتابعين والحسن البصري فقال: اذاهم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد العقد: والنخعي فقال: اذا كانت نية أحد الثلاثة الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للاول: وابن المسيب فقال: من تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول لم تحل له: وتبعهم مالك والبيه وسفيان الثوري وأحمد وقد سئل عن تزوج امرأة وفي نفسه أن يحلها للاول ولم تعلم هي بذلك فقال: هو محلل واذا أراد بذلك التحليل فهو مأمون اه كلام الزواجر

أما مفسد هذه البدعة الذميمة ونضامها فهي كثيرة وقد فصل القول فيها ابن القيم في كتابه (أعلام الموقعين) أحسن تفصيل في سياق الكلام على تغير الفتوى واختلافها باختلاف الزمان والمكان والاحوال عقيب المثال السابع من أمثلة ذلك التغير والاختلاف وهو ماورد في صحيح مسلم وغيره من ان الطلاق الثلاث باللفظ الواحد كان يحل طليقة واحدة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومدة خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر ثم لما رأى عمر رضي الله عنه اختلاف الحال بكثرة هذا الطلاق المخالف للسنة رأى من المصلحة ان يمضيه على الناس ليرجموا عنه فأضاهه . ويقول المصنف وسبقه الى ذلك شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره ان الزمان قد اختلف الآن

وصار من المصلحة جعل الثلاث باللفظ الواحد واحدة كما كان في الصدر الأول وقد بينوا ذلك وأوضحوه بما ليس من غرضنا ذكره إلا ما كتبه ابن القيم في مفسدة واحدة من مفاصد الطلاق الثلاث في عصره وهذه المصوّر وهي مفسدة التحليل . قال بعد ما تقدمت الإشارة إليه في المثال :

(فصل) اذا عرف هذا فهذه المسألة مما تفرقت الفتوى بها بحسب الازمنة كما عرفت لما رآه الصحابة من المصلحة لأنهم رأوا مفسدة تتابع اناس في إيقاع الثلاث لا تدفع إلا بامضائها عليهم فرأوا مصلحة الامضاء اقوى من مفسدة الوقوع ولم يكن باب التحليل الذي لمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعله مفتوحا بوجه ما بل كانوا أشد خلق الله في المنع منه وتوعد عمر فاعله بالرحم وكانوا عالمين بالطلاق المأذون فيه وغيره . واما في هذه الازمان التي قد شكت الفروج فيها الى ربها من مفسدة التحليل وقبح ما يرتكبه المحللون مما هو رمد بل عمى في عين الدين ، وشجى في حلوق المؤمنين ، من قبائح تشمت اعداء الدين به ، وتمنع كثيرا ممن يريد الدخول فيه بسببه ، (١) بحيث لا يحيط بتفاصيلها خطاب ، ولا يحصرها كتاب ، يراها المؤمنون كلهم من أقبح القبائح ، وبعدها من أعظم الفضاخ ، قد قلبت من الدين رسمه ، وغيرت منه اسمه ، وضمنح التيس المستعار فيها المطلقة بنجاسة التحليل ، وزعم انه قد طيبها للتحليل ، فيالله العجب أي طيب أعادها هذا التيس الملعون ، وأي مصلحة حصت لها ولطلقها بهذا الفعل الدون ، أرى وقوف الزوج المطلق أو الولي على الباب ، والتيس الملعون قد حل إزارها وكشف النقاب . وأخذ في ذلك المرتع ، والزوج أو الولي يناديه لم يقدم اليك هذا الطعام لتشبع ، فقد علمت انت والزوجة ، ونحن والشهود والحاضرون ، والملائكة الكاتبون ، ورب العالمين ، انك لست معدودا من الأزواج ، ولا للمرأة وأولياتها بك رضى ولا فرح ولا ابتهاج . وانما انت بمنزلة التيس المستعار للضراب ، الذي لولا هذه البلوى

(١) المنار - هذا الكلام صحيح مجرب في كل زمن وقد رأيت رجلا شيخا نصرانيا ولع بالكتب المريية الخطية فجمع منها كثيرا وكان يطالع في عامة أوقاته فاعتقد بحقية الاسلام وتفضيله واختار مذهب الصوفية وقد لقينته مرة فقال لي لولا ثلاث مسائل لقلت ان الاسلام كله حق اولها مسألة (التجحيش) أي التحليل فأزلت شمهته حتى رجح

لما رضينا وقوفك على الباب، فاناس يظهر وزن النكاح ويعتونه فرحا وسرورا ، ونحن
تواصي بكميان هذا الداء المضال ونجمه أصراً مستورا، بلا تثار ولا دف ولا خوان
ولا اعلان ؛ بل بالتواصي «بمس» و«مس» والاخفاء والكميان ، . فالمرأة تسكح لديها
وحسبها وما لها وجهها ، والتيس المستعار لا يسأل عن شيء من ذلك فإنه لا مسك بعصمها
بل قد دخل على زوالها ، والله تعالى جعل كل واحد من الزوجين سكنا لصاحبه
وجعل بينهما مودة ورحمة ليحصل بذلك مقصود هذا العقد العظيم ؛ وتم بذلك
المصلحة التي شرعها لاجلها العزيز الحكيم ،

«فصل التيس المستعار هل له من ذلك نصيب ؛ أو هو من حكمته هذا العقد
ومقصوده ومصلحته أجنبي غريب ، وسله هل أتخذ هذه المصابة حليلة وفراشيهوي
اليه ، ثم سلها هل رضيت به قط وزوجا وبملا تعمل في نواياها عليه ، وسل أولي
التمييز والعقول هل تزوجت فلانة بفلان ؛ وهل يعد هذا نكاحا في شرع أو عقل
أو فطرة انسان ؛ وكيف يلعب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا من أمته
نكح نكاحا شرعيا صحيحا ، ولم يرتكب في عقده محرما ولا قبيحا ؛ وكيف يشبهه
بالتيس المستعار ؛ وهو من جملة المحسنين الأبرار، وكيف تعبر المرأة به طول دهرها
بين أهلها والخيران، وتظل ناكسة رأسها اذا ذكر ذلك التيس بين النسوان،

« وسل التيس المستعار هل حدث نفسه وقت هذا العقد الذي هو شقيق النفاق ،
بنفقة أو كسوة أو وزن صداق ، وهل طمعت المصابة منه في شيء من ذلك، أو حدثت
نفسها به هنالك، وهل طلبت منها ولدا نجيحا ، وأخذته عشيرا وحييا ، وسل عقول
العالمين وفطرتهم هل كان خير هذه الأمة أكثرهم تحميلا ، أو كان المحلل الذي لعنه
الله ورسوله أهدهم سييلا ،

«وسل التيس المستعار ومن ابتاعته به، هل تجمل أحد منهما بصاحبه، كما تجمل الرجال
بالنساء والنساء بالرجال ، أو كان لاحدهما رغبة في صاحبه بحسب أو مال أو جمال،
وسل المرأة هل تكره أن يتزوج عليها هذا التيس المستعار أو يتمسرى . أو تكره أن
تكون تحت امرأة غيرها أخرى ، أو تسأل عن ماله وبنفته ، أو حسن عشرته ووسمة
نفته ، وسل التيس المستعار هل يسأل قط عما يسأل عنه من قصد حقيقة النكاح .

أو توسل الى بيت أحمائه بالهدية والمحمولة والنقد الذي يتوسل به خايب الملاح، وسله هل هو أبو يأخذ أو أبو يعطي ، وهل قوله عند قراءة (أبي جاد) هذا العقد خذي نفقة هذا العرس أو (حطي) ، (١) وسله هل تحمل من كلفة هذا العقد خذي نفقة هذا العقد أو حطي ، وسله عن وليمة عرسه هل أولم ولو بشاه ، وهل دعا اليها أحدا من أصحابه فقتضى حقه وأتاه ، وسله هل تحمل من نفقة هذا العقد ما يتحمله المتزوجون ، أم جاءه كما جرت به عادة الناس الاصحاب والمهنتون ، وهل قيل له بارك الله لكما وعليكما وجميع بينكما في خير وعافية ، أم لعن الله المحلل والمحلل له لعنة تامة وافية ؛ (فصل) ثم سل من له أدنى اطلاع على أحوال الناس كم من حرة مصونة أنشب فيها المحلل مخالب ارادته فصارت له بعد الطلاق من الاخذان ، وكان بهلها منفردا بوطئها فاذا هو والمحلل فيها ببركة التحليل شريكان ، فلمر الله كم أخرج التحليل مخدرة من سترها الى البغاء ، وألقاها بين برائن العشاء والحرفاء ، ولولا التحليل لكان منال الثريا دون منالها ، والتدرع بالاكفان دون التدرع بمجمالها ، وعناق القنادون عناقها ، والأخذ بذراع الاسد دون الأخذ بساقها ، وسل أهل اخبرة كم عقد المحلل على أم وابنتها ، وكم جمع مأوه في ارحام ما زاد على الاربع وفي رحم الاختين ، وذلك محرم باطل في المذهبين ، وهذه المفسدة في كتب مفسد التحليل لا ينبغي أن تفرد بالذكر ، وهي كموجة واحدة من الامواج ومن يستطيع عد أمواج البحر ، وكم من امرأة كانت قاصرة الطرف على بهلها ، فلما ذاق عسيلة المحلل خرجت على وجهها فلم يجتمع شمل الاحسان والعفة بعد ذلك بشملها ، وما كان هذا سيئه ، فكيف يحتمل أكمل الشرائع وأحكامها تحاييه ، فصلوات الله وسلامه على من صرح بلغته ، وسماه بالتيس المستعار من بين فساق أمته ، كما شهد به على بن أبي طالب كرم الله وجهه وعبد الله بن مسعود وأبو هريرة وجابر بن عبد الله وعقبة بن عامر وعبد الله بن عباس وأخبر عبد الله بن عمر أنهم كانوا يعدونه على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سفاحا .

(النتار : وههنا أورد المصنف الاحاديث التي رواها هؤلاء الصحابة الكرام في لعن المحلل وفي تسميته بالتيس المستعار وبحث في اسناد واحد منها قدأعله بعضهم وبين

(١) لمل هذه السجعة نسخة ثانية وما أرى المصنف جمع بينهما



هو حسنه ومنها ما رواه الحاكم في صحيحه من حديث ابن أبي مرزيم حدثنا ابو غسان عن
عمر بن نافع عن أبيه قال جاء رجل الى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثا
فتزوجها أخ له من غير مؤامرة بينه ليحلها لآخيه هل تحل للاول ؟ قال : « لا ، الا
نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » قال :
صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه : والسفاح هو الزنا جهرًا . ثم قال المصنف (**فصل**)
فسل هذا التيس هل دخل في قوله تعالى « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً » وهل
دخل في قوله تعالى (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ
وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءُ يُنْفِهِمْ اللَّهُ مِنْ قَضَائِهِ » وهل دخل في قوله صلى
الله عليه وآله وسلم « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن
للفرج » وهل دخل في قوله صلى الله عليه وآله وسلم « تزوجوا الودود الودود فاني
مكاتبكم الامم يوم القيامة » وهل دخل في قوله « أربع من سنن المرسلين النكاح
والتعطر والحتان » وذكر الرابعة وهل دخل في قوله صلى الله عليه وآله وسلم
« النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني » وهل له نصيب من قوله صلى الله عليه
وآله وسلم « ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء »
وذكر الثالث ؟ أم حق على الله لعنته تصديقاً لرسوله فيما أخبر عنه ؟ وسأله هل
يلعن الله ورسوله من فعل مستحباً أو جازراً أو مكروهاً أو صغيراً أم لعنته مختصة
بمن ارتكب كبيرة أو ما هو أعظم منها كما قال ابن عباس : كل ذنب ختم بلعنة أو
غضب أو عذاب أو نار فهو كبيرة

« وسأله هل كان في الصحابة محلل واحد أو أقر رجل منهم على التحليل؟ وسأله لأي جديد

شيء قال عمر بن الخطاب : لأوتي بمحل ولا محلل له الا رجتهما؟ وسأله كيف تكون
المنعة حراماً نصاً مع أن المستمتع له غرض في نكاح الزوجة الى وقت لكن لما كان
غير داخل على النكاح التؤيد كان مرتكباً للمحرم فكيف يكون نكاح المحلل الذي انما
قصده ان يسبها ساعة من زمان او دونها ولا غرض له في النكاح البتة بل قد شرط انقطاعه

وزواله اذا اخبثها بالتحليل ، فكيف يجتمع في عقل او شرع تحليل هذا وتحريم النعمة - هذا مع ان النعمة ايجت في اول الاسلام و فعلها الصحابة و اتقى بها بعضهم بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونكاح المحلل لم يبح في ملة من الملل قط ولم يفعله أحد من الصحابة ولا اتقى به واحد منهم ؟

(ثم قال المصنف) « وليس الغرض بيان تحريم هذا المقدم وبطلانه وذكر مفسده وشرفه فانه يستدعي سفرا ضخما مختصرا فيه الكلام وانما المقصود ان هذا شأن التحليل عند الله ورسوله واصحاب رسوله فالزمهم عمر بالطلاق الثلاث اذا جموها اليكفوا عنه اذا علموا ان المرأة تحرم به وأنه لا سبيل الى عودها بالتحليل . فانه لما تغير الزمان وبعد عهد الناس بالسنة وآثار القوم وقامت سوق التحليل ونفقت في الناس فالواجب ان يرد الامر الى ما كان عليه في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته من الإبقاء بما يعطل سوق التحليل او يقللها ويخفف شرها . واذا عرض الى من وفقه الله وبصره بالهدى وفقهه في دينه مسألة كون الثلاث واحدة ومسألة التحليل ووازن بينهما تين له التفاوت وعلم أي المسألتين أولى بالدين ، وأصلح للمسلمين .

« فهذه حجج المسألتين قد عرضت عليك ، وقد أهديت ان قبلتها اليك ، وما اظن عمى التقليد الا يزيد الامر على ما هو عليه ، ولا يدع التوفيق يقودك اختيارا اليه ، وانما اشرنا الى المسألتين اشارة يطالع العالم على ما وراءها وبالله التوفيق » اهـ

(القسم العمومي)

﴿ نظام الحب والبغض ﴾ (تابع ويتبع)

(٢) ماهو الحسنُ؟ — قد عرفتم بالذي قلناه في تعريف الحسن ماهو الحسنُ . وبقي ان أقول لاجل تذكير القاريء بأصل الموضوع انه هو الزينة من غير نظر منا الى الفرق بين الحسن الذاتي والحسن الصناعي .

(٣) ماهو الاستحسانُ؟ — هو انبساط النفس لذلك الشيء الذي وجدت فيه ما يناسبها . ليست الصعوبة في تعريفه بهذا الرسم وانما الصعوبة في معرفة ان الاستحسان يحصل للمرء بالبداهة أو بالنظر والتأمل وقد سبق شيء من الاشارة الى هذا الامر

ولكني لأراه مستقياً عن زيادة الشرح . أما استحسان بعض المحسوسات فيحصل للبعض بالبداهة وتعقبه محبة . ولهذا السرّ ظن البعض ان الحب يكون اضطرارياً على ان هذا السر وان بقي غامضاً لا يثبت هذه النظرية بمثل هذه الحوادث الفذة ثبوت ضد هذه النظرية ببراهين حسية وعقالية مما . وأما استحسان كل المعقولات فن أهل التفكير نتيجة نظر وتأمل ومن أهل التقليد نتيجة ثقة بالقلدين . والاولى ان لا يمد استحسان هؤلاء استحساناً لانا اذا ادخناهم في صف من لا فكر لهم من المخلوقات لم نكن عملنا غير الصواب لأنه هو المطابق لروح الواقع ونفس الامر .

(٤) ماهو حب المستحسن ؟ - تقدم تعريف الحب وليس سؤالنا عن تعريفه بل عن ذلك السر المودع في طبيعة النفس من محبة أشياء تعتبرها جميلة . وامل ذلك السر هو شوقها الطبيعي الى ما وراء جسمانية المادة وما يلحقها من الجمادية المحضة .

(٥) لماذا نستحسن ؟ - هذا السر مودوع في نفوس الخاصة والعامه من بني النوع . ولما اوتينا المزية العظيمة التي تسمى « الارادة » اراد الفاطر ان تجلي فينا ظاهرة باهرة فانقسمت الاشياء في نظرنا كافة الى ما توجه نحوه ارادتنا وهو ما نستحسن والى ما تصرف عنه وهو ضده . فهذا هو السرّ في كوننا نستحسن .

(٦) لماذا نحب الحسن ؟ - يظهر بالذي قلناه سر حبنا الجميل وزيد عليه علة لا يتوقف في فهمها انسان وهو اننا نحب الحسن لنعمل . فلولا ذلك لقمنا بما تبت الارض من كلاً ، وما تفيض به من ماء ، ويظهر من ملاحظة سير الماضين والفارين ، وسنن الوجود في الاولين والآخرين ، اننا لم نحاق لمثل هذا بل خلقنا لاسرار عظيمة لا تظهر فينا الا بحبنا الحسن والحسن .

(٧) لماذا نختلف بالاستحسان ؟ - اذا كنا نحب الجميل لنعمل فحسن نختلف بالاستحسان لتختلف اعمالنا . على ان لاختلافنا في الاستحسان عالماً أخرى منها اختلاف الامزجة .

ويبان السر في اختلاف الامزجة لا يبعد عن صدد علمنا هذا ولكنه قد يبعد عن صدد هذا الفصل او قد يبعد بنا عن الغاية التي اشرقنا عليها . وكذلك لاختلافنا في الأعمال علل أخرى ولكن الذي ذكرناه هو من أقدم الاسباب .

(٧) ماهو عشق المستحسنات الذي يميل بكل نحو مستحسن فيغرم به ؟ - بيتي عاينا

سؤال عن أمر آخر غير الحب المعتاد وهو العشق الذي مبالغ العلم فيه انه أعظم درجات الحب ومنهاه. والجواب على ذلك في غاية السهولة وهي ان النفوس قوابل ، والواردات عليها فراعيل ، وبعض النفوس أشد قبولا وانفعالا لما تعرضت له من الواردات فيصيرها العشق الذي هو أعظم الحب في حين ان كثيرا من اخواتنا اللاتي يتعرضن لمثل ما تعرضت هي له لا يصيبهن الا الحب البسيط وكثيرا من غير اولئك لا يصيبهن شيء ما.

هذا وان فيه لبلاغا في بيان الموضوع ، وكشفا لبعض السر المودوع ، ويحار فيه من لم يرد من البيان مشاركته ، ولم يذق من التقريره شاربه ، وادرككم ليسوا من أهل النار ، ولا نلبهم في مثل هذا الكلام المدار ، وحسب اولئك مما تقدم ان يسعوا هذه الخلاصة : « لولا حب الزينة لما كان من حاجة الى أكثر الصنائع . ولولا كثرة الصنائع لما توفرت أسباب الاجتماع . ولولا الاجتماع لما تبودلت الافكار . ولولا تبادل الافكار لما حصلت المعارف الإنسانية . ولولا المعارف الإنسانية لكانت حياة الانسان كحياة البهائم . » ولو شئنا لشرحنا هذا الكلام بفصول كثيرة ولكننا تقلنا منه بما سبق ، وفي هذا الترتيب الذي وضعنا وضوح تام ، وللعمرانيين ههنا شركة في البحث والبيان ، وتركنا لهم وظيفتهم التي هي البناء بعد اداء وظيفتنا التي هي الاساس ،

ولكيلا يفوتنا النصيب من تصحيح افكار اولئك الذين نعلمهم ناقين على حب الزينة ونعلم انهم سينقمون منا تمثيلنا حب الزينة هذا التمثال الذي ستره البصائر فخيماً ، وكأني بهم رافعين عقيرتهم يقولون هل يجنى الناس منه الا الدأب والكمد العمر كله في طلب الفواني ، وهل في سبيل هذه المحبوبات التي لا تنتهي الا الوقوع في أنواع الرزايا المعروفة؟ لكيلا يبقى هذا الاعتراض بلا جواب نقول : ان الذي قلناه هو وصف لامر واقع على سبيل العموم والشمول لاحت وحض على حب الزينة ، وان الذي نعلمه ان ذلك الامر الذي وصفناه طيب لا يصد عنه النفوس ان ينقم الناس عليه كما ان الاكل مهما سبناه لانستغني عنه ، ثم اننا نعلم انه لا يقول ذلك القول الا واحد من ذينك الاثنين الضدين المتسفل في دركات العواجز من الحيوانات التي تكره الحركة وتهوى السكون ، والمتسامي بعقله الى مافوق الفواني المتجافي عن الزوائد من مقومات الحياة المادية نشوقاً الى المقولات العالية . ومن عجب ان تجباني قوهلها مع اختلافهما في نيتيهما ، ولم يكن

ذلك إلا لأن الثاني فاتته حكمة الاعتبار بأصل الفطرة وسرها، وفاته النظر إلى الواقع ونفس الأمر، ولم يبق عايناً إلا أن تنظر هل يجوز لنا أن نهى عن حب الزينة والجمال؟ والجواب: لا يجوز لنا ذلك لأنه لا يجوز لنا أن نحاول العبث. وهذا هو وجه الحقيقة الذي لاح لأهل عامنا فشهدوا كما رأوا. وعلماء العمران سترهم يقيمون أشد التكبير على رجل يقول بجواز النهي عن حب الزينة. ونحن في أمن من هذا لو غي لاتنا لزيد على قولنا: «انه لا يفيد» وليس في هذا القول مصادمة لقاعدة ان الحب يدخل تحت «نظام» لاتنا لم نخرجه عن النظام بهذه الكلمة ولكن الآخري يريدون ان يخرجوه عن الوجود لاعتنا النظام فقط. ويوضح هذا مثال: «اذا قلنا لايجوز النهي عن الأكل مطاقاً لانه لا يفيد اذ هو امر بتغيير الفطرة» فلا يفهم احد قط من هذا الكلام انه لا يدخل الأكل تحت نظام، فلينظر ذو فكر مايقول:

وقديذهب ظن القاري إلى ان محرر هذه الكلمات رجل من غلاة المفتونين بهذه الصور المتحولة الفانية او تلك المادة الجماد الخالدة واني لا احاسب الناس على ظنونهم ولكن من يحاول التعريف بشيء عن زينة-افية يحرص على مقصوده اكثر من ذي اجر واني حريص ان يأخذ قاري كلامي بالنصيب الاوفى من علم طبيعة النفوس من حيث المجموع مع مراعاة حالاتها في الاجتماع وحالاتها الشخصية فأني على يقين ان هذا العلم يبرر صاحب سلامة نوق وسلامة صدور وسلامة فكر ويؤديه الى الاعتدال الذي هو محور نظام الاصلاح، ومن أجل ذلك اذكر القاري بما استحفظته اياه في صدر الكلام ومنه يعلم أن قليلا من التدبر يكشف عوار كثيرين من الذين كتبوا في الاخلاق والشرائع ويحلى محاسن الحسينين. ومن ههنا خالف الذين ينهون عن صرف شيء من المال في سبيل حب الزينة ولا أجد في مذهبهم ذلك رائحة من الحكمة قط بل هو جهل بطباع الاجتماع فانه لن يعدم الخاسر ما يستعيب به من الراجح، والالهدم البائع من يتناع.

ومن المؤمنين بما قررناه قائل يقول: قد يحتاج الفرد وهو ساج في الاوهام بحب الزينة الى من ينبهه الى الاخطار وهو حق ولكن عندي ان يكون المنبه من نفسه في مثل هذه الحالة خيراً من ان يكون من آخره. لئلا ينجح في هذا التعمود أصراً هو أعز وأغلا من المال الذي نخسره. ذلك هو التفكير وصدق الإرادة في مباشرة الأشياء. ولا

شك بأننا سنلقي أسارى كثيرين في هذه المعارك قد قديتهم الشهوات الكاذبة بأغلال الحسار، وقذفتهم الارادات المريضة في مهاوي التدمير، ولكن أن نعدم امثال هؤلاء الاسرى وان كثروا خير من ان نعدمهم من ابطال الجهاد في هذه الحياة . وخير من ان لانعدمهم وكثيراً ما يختلف طب النفوس عن طب الابدان لان أحدها يعالج مرضاً محسوساً بعلاج محسوس . والآخر يداوي مرضاً محقولاً بدواء معقول ولا طباء النفوس في هذا الباب أدوية - لو استعملت - شافية ولكن الناس اعاروها آذاناً صماً وزيدان يكون لهم علاج من المحسوسات ذلك ما تعطيه مجاري الاحوال وينتج صحة التفكير وسلامة الارادة .

وآخرون سيقولون لقد أسرف هذا وكاد ان لا يرى في الاسراف شيئاً مذموماً . كلان الاسراف مذموم عندي كما هو عند الناس كافة ولكن الذين يهون عنه هو مادون الاسراف وهو الذي لا تهى عنه . ولا أريد من هؤلاء أكثر من ان يعلموا انه لو لان نصرف المال فيما زين لنا ما وجد المال . ولكن علم هذا صعب عليهم وهو انه بان نعلمهم ان المال ليس شيئاً غير قيمة جملة الاعمال التي يعملها النوع واذ اعلموا ذلك فليتركوا انه لو لاحب الزينة لما كان من حاجة إلى اكثر الصنائع ، لولا ان لا قفلت أسواق ومصانع يعمل فيها حاج للناس من غير اللوازم الضرورية التي لا تتجاوز ما مثناه به آفانم من الغذاء والكساء والاولاء .

ما اذ زين هؤلاء بعض هذه الاسواق والمصانع ودوران فلك الاعمال على هذه الاقطاب الحالية وما داناها في الماضي وما سيفوتها في الآتي فالبأس على اذا دار الفلك على حسب احلامهم واما البأس على قوم يبلغ بهم الهوس ان يروا الخير والسعادة في أولي السير من الحياة وهي سيرة الانس بالاولاد والاحجار ، والفرع من خطور الاشباح وهبوب الارواح (٥)

﴿ نتيجة عظيمة ﴾

وما قرناه أساس متين لبناء نظامي الاخلاق والشريعة . يبني عليه في الاخلاق ذم جهود النفس الذي من لوازمه نسيان الحظ من الحياة النوعية الا ما وجدت عليه الآباء . وذم غلبانها الذي من لوازمه تجاوز الحدود التي وضعت لحفظ الحقوق . ومدح الاعتدال . وفي التمهيد نحوت المنحى الذي يفهم منه ذم جهود النفس لانه الغالب في مشرقنا . ويبني عليه في الشريعة الحرية في المطاعم وموائدها ، والملابس وازياتها ،

(٥) جمع ربح وهو بآتي هكذا كما يأتي جمعا الروح

والمباني وأشكالها ، وغير ذلك من الحاجات اللوازم والتوابع وكل شريعة لم تُبَنِّ في هذه الابواب على مثل هذا الأساس لا يقوم لها بنيان . ولا يوفق الناس أعمالهم على احكامها وان تلوا حروفها . واذ كانت كل شريعة تنسخ ما قبلها كانت تتقرب من هذا المعنى بحسب ترقى النوع ولذا كانت الشريعة الاخيرة حائزة هذا المعنى تماما . وحرّم منها ما يضر بصحة العموم . وما يصادم نفعاً عاماً أو حقاً خاصاً . وما يجمع علماء الاخلاق على مضرتة بجوهر النفس . وهذا التحريم في الحقيقة معين على صيانتها وحسن التصرف فيها والمطلعون سيدركون ما وراء هذه الجمل من التفاصيل . ومن عداهم سيأتهم التفصيل في مواضع متعددة وحسبهم الآن ان يتدبروا هذه النتيجة ويفكروا فيها بفكر نقي .

﴿حب التميز﴾

في الفطرة زيادة على حب الزينة حب التميز فلو لا هذا الثاني لبغنا نهاية فيما نحب من الزينة أو غيرها ولكن هو الذي أبعث الغاية على الطالين . والذين هم أشد حبا للزينة هم أشد حبا للتميز ، وعند التأمل في آثار هذه الطبيعة نجدها ينبوعاً للخيرات والذمور معاً . وهكذا نجد الشمر موجوداً دائماً في منابت الخير ولذلك كان تحصل الخير في هذه الحياة عناءً كبيراً كالغناء في تحصيل الخطة من بين الشوك ثم تميزها من الزؤان بل هو أكبر . ولكن أجر هذا العناء عظيم وهو بلوغ الانسان كماله الممدله . وقد يقصر حجابنا الآن عن تصور ذلك الكمال وما من يتقدم الا معاونا لمن يتأخر .

وفي خلق الانسان آيات للمتدبرين ، واسرار للمعتبرين ، منها تكريم هذه الصوامت النواطق بلسان الحال عن ان تكون عبئاً اذ على يده تظهر خواصها وفي فكرة وبصره تجلّى جمالها المعقول والمحسوس تحقيقاً أو اعتباراً أو تخيلاً . ولحب التميز الحفظ الاوفر في استخدام الفكر في هذه الشؤون . فهو الذي يبعث الفكر في عالم المحسوسات والمتخيلات رائداً يرتاد للنفس ما هو غريب عزيز الوجود مما يود كل أحد ان يقتنيه أو يتعجله . وهكذا كانت زيادة الاول على الآخر وسيكون ما لا يمين رأيت ، ولا اذن

حسبت ، ولا خطر على قلب الاولين .

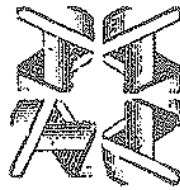
والحاصل ان حب التميز ميزان في كفته الواحدة أمر نسميه حسنة وهو ارتقاء الحياة النوعية . وفي كفته الأخرى أمر نسميه سيئة وهو حرص النفوس على الاستبداد . والناس يفهمون من هذه الكلمة — الاستبداد — ان المقصود به عدم المشاورة وهذا المعنى جزء مما تدل عليه هذه الكلمة التي معناها الحقيقي نزوع النفس للحرية المطلقة التي من جعلها تقييد حرية الغير وغضبها وهذا هو وجه شناعته ومن أجل هذا كان عنصر الشرور المادية والأدبية .

وقد كدنا ان نياس لما علمنا ان هذا العرق الضارب في اعماق الطبيعة البشرية لا يمكن استئصاله بالقلع لولا ان تبين لنا ان في ازاء الشوك زهراً لولا ان ثبت لنا انه يمكن تخفيف ما ينجم عنه بتنبع الفروع وقطع ما يمكن قطعه منها والربانيون من الحكماء أشد الناس عداوة للذين يستبدون ذلك بما عرفوا من الحق ، وبما عطفوا على الخلق ، وبما تدفعهم اليه قوة العلم ، ومنة العزم ،

والاخلاقي حسب ان يذكر المستبد بثلاثة أمور لا تفارقه ولا غيره : العجز بالذات ، والاحتياج للغير ، واستحالة بلوغ الغاية ، وان يذكر المستبد عليهم بثلاثة أمور أيضاً الضعف بانحلال الرابطة ، وانقوة بالتعاون ، والفوز بالثبات والصبر .

والسياسي وهو البحوث عن كل روابط الاجتماع لأستكثر منه ان يحمل أوزار الوغى ان استطاع في رد كيد المستبدين الذين وضعوا أعمالهم في كفة السيئة من حب التميز وبئس ما اكتسبوا لانفسهم من البغضاء . وللمدعنون لهم شر مكاناً وأضل عن سبيل الحياة النوعية . وأقرب الى الهوان من الانعام وفي هذا بلاغ نعلمهم يتذكرون ،

(تمة بقية) ع.ز



أركان التربية والتعلم

الشذرة الثالثة عشرة من جريدة الدكتور اراسم (*)
السفر من أركان التربية

لا ينبي على أحد مالم يتأثر به النفس وتحفظه الذكرة في السفر من اللصوق والتمكن .
هذا شكبير (١) يدعو حاله الى اعتقاد ان معظم الفضل في بلوغه تلك المكانة
العالية في الشعر يرجع الى نشأته بالقرب من نهر الآون (٢) الاينق الذي تفيض مياهه
على مدينة استراتفور (٣) وما تحيط به من الاودية الخصبة الغنية بالشجر والنبات
ومجاورته لغابة اردان (٤) التي كانت منزها له في سنيه الاولى من حياته . يدلك على
ذلك انه لما كتب فيها بعد القصة الهزلية التي عنوانها « كما تحب وترضى » اتخذ هذه
الغابة نفسها محلا لهم منظر من مناظرها ومثل اما كنهها للنفوس وجلي مواقعها للاذهان
بأوجز العبارات ، ووضح الاشارات ، لم يكن هذا الا لكونه مع تزوجه عن مركز استراتفور
الذي هو مسقط رأسه لم ينس منظر هذا الريف بل حفظه في مطوى من مطاوي نفسه
وهذا أول فيار جولدميث (٥) ذو العقل الثاقب والذكاء المتوقد لم يذهله حين
اقام في لوندرة ماشاهده فيها من الاختلاط والتشوش عن ذكر قرية لشوى التي نشأ
فيها ولم ينسه ما كان يراه هناك من جدول الماء والطاحون والكنيسة وفندق الحمام
الثلاث وسياج العضاة وغير ذلك من خصوصياتها بل انه مدحها في القصة التي كتبها
فيها بعد وسماها الكميت (الأورن)

(*) معرب من كتاب أميل الزرن التاسع عشر في التربية - تابع لما نشر في ص

٧٧٨ من المجلد الخامس

(١) شكبير هو أشعر شعراء الانكليز كما مر (٢) نهر الآون هو احد انهار انكلترا
المشهورة وهو قريب من مدينة استراتفور (٣) استراتفور هي أهم مدينة في مركز
استراتفور (٤) غابة اردان هي في هذا المركز أيضا (٥) أول فيار جولدميث هو شاعر

وقصصي انكليزي شهير ولد سنة ١٧٢٨ ومات ١٧٧٤

وكان واشنطنون أرفنج (١) الكاتب المجوني الرحالة الذي استهوى النفوس ببدايع ظرفه، وخبب الالباب بدقائق وصفه، يحمد الله تعالى أن انشاء على ضفاف بحر أوتسون (٢) ويقول: ان ما كسبه طبيه المختلف العناصر من الخير والتهذب يصح ان أرجعه الى محبتي لهذا النهر في صفري فقد كنت في حدة الحمية الصيانية اكسوه بعض الخصائص النفسية واعتقد أن له روحا يقوم بها وأعجب بما في طبعه من الحرية والشجاعة والصدق والاستقامة ذلك لانه ليس من الأنهار التي تبسم صفحاتها عن خداع وتضمر السوء بما نحتها من الشعاب المهلكة والصخور الغدارة بل هو طريق مائي بهيج جمع الى عظم عمقه كثرة اتساعه، يحمل السفن التي توكل الى أمواجه بقلب سليم ونية شريفة وكنت أتحيل نوعا من المجد والعجب في استقامة مجراه وسكينته وسلامته الباهرة :

انما مثلت ببعض الشعراء لانهم هم الذين نعرف شيئا من احوالهم النفسية في حياتهم غير اني لأرتاب أبدأ في أن ما يختلف بالناس من الاصول والامور الخارجية لا يحدث في نفوس جميعهم أترا واحدا وانهم يختلفون أيضا في درجة التأثير بها وان ماشاهده الانسان في صفوه يلزمه في كبره ويصير جزءاً من نفسه وما صحبه من الاشياء وهو يافع لا يجانبه في كبره بل يظهر أثره في صورة خلقه وفي مجرى أفكاره

ليس كل ما يحيط بالانسان مما تناوله مشاعره يصلح على السواء لحفظ صحة عقله فقد روي أن ملتون (٣) كان يتألم ويشكو من الشكوى وهو يتلقى دروسه في مدرسة كبرج الكلية من ضواحي هذه المدينة معللاً شكواه بانها خلو من الظلال الوارفة التي تجذب إلهات الشعر وتؤويها

وكان روبرت هول الكاتب الانكليزي الذائع الصيت الذي كان يتعلم في تلك المدرسة بعد ملتون بقرن ونصف ينسب أول نوبة اصابته من نوبات الجنون الى استواء الارض بمركز كبرج وخلوها من الربى والهضاب الشجراء

الناس وان اختلفوا في درجات تأثرهم بفقد ما هم محتاجون اليه لاظن انه يوجد

(١) واشنطنون أرفنج هو أديب وقصصي أمريكي ولد سنة ١٧٨٠ ومات سنة ١٨٥٩

(٢) بحر أوتسون هو خليج متسع على السواحل الشمالية للقسم الانكليزي من أمريكا

(٣) ملتون شاعر انكليزي شهير ولد سنة ١٦٠٨ ومات ١٦٧٤

منهم من لا يتأثر ألبتة بما يكون من العيوب والمناقص في المناظر الريفية التي يراها على الدوام اللهم الا قليلا لا يعتد بهم واذا صح ذلك فليشد ما يبالغ هذا التأثر السيء من اذهان الاطفال فان الرجل البالغ قد حصل له من قوة النفس والخيال ما يكفي لمفاعلة ما يحفف به من الاشياء فحسبه في معظم الاحيان ان يخرق قلبه شماع من اشعة الحب او يكون في نفسه وجدان قوي او يجتمع في ذهنه بعض المعاني حتى يرتقي بالريف المتبدل الذي لا قيمة له في ذاته من شيوع الابتذال ، الى الاختصاص بشرف الخيال ، وليس هكذا حال الحدث الذي بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره فانه في هذا السن لا عمل له في فطرة ماحوله من المخلوقات اذ ليس في استمداده اذ ذلك ما يكسوها بهاء ، ويزيدها روتقا ورواء ، بل انه يتأثر بها كما هي فمن الفوائد الكبرى له انه يولد او يتربى بالقرب من بعض المناظر الكونية العظيمة كمنظر نهر جميل او بحيرة او جبل او غابة

منظر الريف في كورنواي منظر مهيب غير انه واحد لا تغير فيه وليت هذه البلاد كانت اكثر اشجارا مما هي الآن فان مثل الياض الذي لا يرى قط الا ناحية من نواحي الكون كالصخور او البحر كمثل من لم يقرأ الا كتابا واحدا

لا بد في تربية الانسان خصوصا في صغره من تنوع الفواعل لتنوع آثار انفعاله بها ذلك لان كل فرد من افراده يميل الى بعض المناظر دون بعض حتى يكون من هذا البهض الذي يميل اليه كطبعه في الاختصاص به. ومعنى هذا ان ضروب الحسن في الطبيعة تقابلها في نفوس الناس مناسبات ذاتية وليس المنظر الذي تخيره الانسان ويرتاح اليه يأتيه على الدوام عفوا بل لا بد من السمي ورائه تحصيله فمن الناس من ينشأ اتفاقا في سهل من السهول ويكون ميله للمناظر الحليانية ويوافق هذا قول أحد الكتاب في وصف رجل لا اذكر الآن من هو: انه عربي والد في ظل شجرة تفاح بنور منديا (١)

قد بلغ « أميل » السن الذي تبدو فيه حاجة الناس الى الاختلاط بما حوله والمربون يخدمون هذه الحاجة في معظم المراهقين بياتهم قصصا في الاسفار هي ولا ريب أدنى الكتب الى التفاهم اليها واشتغالهم بها غير انه مما لا نزاع فيه ان وصف البلاد بالناس ما يبالغ من قوة البيان وضبط التحرير لا يرتقي في تأدية العلم بها الى درجة المعينة بل انه أدنى

(١) نور منديا إقليم من الأقاليم القريبة القديمة التي دخلها العرب الفاتحون

مها كثيرا فلا يمكن ان يستغني به عنها من أجل ذلك كان سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة هو السن الذي يظهر فيه هوس الملاحة في رؤوس الصغار من سكان البلاد المجاورة للبحر كأنجلترا فكم من هؤلاء الصغار البسلاء من يصيبهم من ولوعهم بالتجوال في الاقطار السحيقة مرض لا يجد ولا يوصف كما يصيب المصفور الحطاف في الفصل الذي يهاجر فيه رفاقه، فيتسللون من بيوت أهلهم فلا يمدون اليها في حياتهم. وأما سكان البلاد الأخرى فان حب السفر لا يكون في الكثير منهم الا حاجة وقتية لانهم بعد أن يقضوا بضع سنين على سفر يركبون فيه متن المهالك يرجعون الى أوطانهم فيعيشون مهيثا الاستقرار الذي يدهشني من المرين هو قعودهم حتى الآن عن البحث في الانتفاع بالسفر في التربية وجعلها ركنا من أركانها . ان قيل : انما يمتنع من ذلك حاجتهم الى الزمن ؟ قلت ان السفر الى أمريكا مثلا لا يقتضي الآن منه أكثر مما يلزم لتعليم التلميذ شكل الكرة الأرضية تعالما فيه شيء من الحق على ما في السفر ومعاينة الأشياء من الفوائد الكثيرة التي لا يستفيدها المتعلم من أي درس من دروس تقويم البلدان كتابية كانت أو شفاهية وان قيل : ان ما يقتضيه السفر من النفقات هو الذي يخيف المرين منه ويصددهم عنه قلت قد فهمت هذا الاعتراض الا انه يوجد من الطرق غير واحدة للسفر بدون كبير نفقة وانما أكبر العوائق في هذا السبيل هو حذر الآباء والامهات وخوفهم على أولادهم فان فكرة غياب الغلام الفر عن نظر ابيه ووكلاءه موج البحار ومخاوف الاسفار وتخليته ونفسه مما يهيج نفوس الامهات وتثور له قلوبهن . لا جرم ان امهاتهن باولادهن حقيق بالاجترام والاجلال ولكن ينبغي أن يفهمهم القائمون على التربية ان ليس في الغياب شيء يقطع أو اصر الرحم وان عمري المحبة والوداد تجمع بين القلوب الشريفة والنفوس الكريمة مهما اتسعت مسافة البعد بينها وانه لا خوف من الحرية الاعلى الابناء الذين لم يترك بتعليمهم الاستقلال بالسير في هذه الحياة على انه لا يصح ان تكون محبة الوالدين لا اولادها الاعزاء مقصودا بها لذتهما بل لا بد أن تكون غايتها الحرص على مصلحتهم فان رحمتها بهم تدب اليها شبهة الآثمة اذا انحصرت في ابقائهم في كنفهما وان أدخل ذلك بتلك المصلحة وفوق ذلك فانه لم يكن من العيب ان استعملت في ايماننا هذه قوة البخار في طي المسافات السابقة ، وتقريب الاقطار المتتالية ، وأبعدت الملاحة في قوتها ، ورخصت

لناس أسعارها ، فأصبح السفر الى البلاد المسامحة لنا من أسفل معتبرا عند شبان الانكليز من قبيل التزه وتمضية وقت الفراغ في البحر وقد شعر النوع الانساني بنمو اجنحة للراقي فلا محيص من التسليم واني لاخشي ان لانفي حكمة اشيوخ الزاجرة عن السفر ولا الجدول الاطلا نطقي شيئاً مما يجده خائفنا في نفوسهم من الحمية والحاجة الى رؤية العالم جميع الأمم الحرة أم رحالة لا يعوقها بعد المسافات ولا اختلاف الاقاليم ولا العتبات

المادية بل ولا تعلقها المتين لاعمى بالزاوية التي تعيش فيها من الارض ان القوانين التي جرى عليها توزيع أجيال النوع الانساني على البلدان قد تحدد بعضها بالفطرة وبعضها بالتاريخ وكثير منها بسياسة الحكومات وما زال الحاكمون في كل عصر يبنون أشد العناية بان يعيش المحكومون ويموتون في الارض التي ينسبط عليها سلاطنتهم سواء في ذلك الاغنياء منهم والفقراء وقد استتجوا من كون هذا الامر مفيداً لمصالح ملكهم انه من الفروض التي لهم على رعاياهم ونجحوا في اقتناعهم بذلك وكان من أوهام المربين وخيالات الشعراء وأفكار رجال الدين ، متصافر في قرون طويلة على أن يغرس في القلوب غريزة يشترك فيها الانسان مع المجموعات وهي حبه للمكان الذي ولد فيه . نعم انها من الفرائض الحسنة ولا تنس انه هي السبب في تألف الجماعات ولكن لا يعزب عن ذكرك أيضاً انه سهل ان يساء استعمالها ليقى المستضعفون من الناس عيد الاقوياء العاشقين لما كانت جماعات الانسان في بداية نشأته قد انحصرت كل واحدة منها في بقعة من بقاع الارض كانوا معتادين من صفرهم على المعيشة في الاماكن التي يجدون فيها ما يقتنون به ووصلت بهم هذه الحالة الى حد انهم قد عدوا هذه الامادات الانحصارية من الفضائل وأما انا فلا أعدها الا همية ولا أقدرها بما لا تستحق فما زال الفلاح اللاصق بأرضه يقلبها ويزرعها أدنى منزلة في الجملة من المدني والمدني نفسه يستفيد

ويرتقي كثيرا اذا اتسع نطاق معاملاته مع العالم

الامم التي تكون عالة على أرضها أجنبية عن لغات غيرها في وسعها ولا شك ان تقوم بمعظم الامور وجلائل الاعمال لكنها تكون أكثر من غيرها استهدافا لقوارع البغي السياسي فانها لا تتأثر من تعطيل القوانين ولا من ابطال كفالات الحرية ولا من دوس حقوق الافراد واهتمامها ذلك لان ابناءها يلتصقون وهم كالمستيمين بقطعة الارض التي تؤويهم وقد دنسها الدم الذي سفكه عدوها الظافر وجعل منه قراباً

لثبته فالأغتراب أشد رهبة في صدورهم من جميع المصائب ولو أحاطت بهم فوادح الخطوب القومية من كل ناحية فإذا نفي بعض ذوي الوجاهة والنفوذ من الأحزاب المستضعفة إما بحكم الضرورة أو بما يتخذ من طرق القهر في زمن الفتنة كان النفي ابلاغ المحن في نفوسهم ألماً فتراهم حيارى لا يدرون أين يذهبون ولا ماذا يصنعون وقد صارت الدنيا في أعينهم وهم خارجون من ديارهم صحراء يعوزهم فيها الدليل، وموحشة لا يجدون فيها الأمانيس وأما الأمة التي يعتاد أفرادها من نعومة أظفارهم على قطع أجواز البحار ولا يكونون بمنزل عن لغات الأمم الأخرى وعوائدها وبدرسون أبداً مضروب الحضارة عنهم وأشدّها اختلافاً فإنه لا يكون لصروف الدهر عليها سبيل ولا يخشى بنوها بطش القوانين الخاصة ولا التغريب بل انهم يكونون أصدق من فليس الثاني (١) إذا قالوا متشبهين به «ما كانت الشمس لتغرب عن حكوماتنا»

ولقائل أن يقول: إن عادة السفر قد تضعف في الأحداث العاطفة الوطنية: فاجيبه اني لأميل قطعاً الى عموم معنى الوطنية واتساعه فما اتسع من تكون الدنيا كلها وطناله إذ لا يكون الانسان انساناً الا بشرط أن ينتسب الى طائفة معينة من البيت الانساني وان يكون له لغة وأمة خاصتان به غير أنه لا ينبغي ان يتوهم ان حب الوطن الحقيقي يضع كثير من معناه اذا تجرد عن روابط الوثنية المسادية التي كثيرا ما تشوّهه وتجنس قيمته فليس الوطن مطلقاً عبارة عن الجبل أو السهل أو الغدير الذي يولد الانسان بجواره اتفاقاً وليس هذا من القرميد أو الحجر ولا هو بالمكان الذي يحصره سطح يقدر بالفراسخ المربعة كلاً ليس الوطن شيئاً من ذلك ولكنه معنى يقوم بالذهن بل تاريخ الأمة بل آثار سلفها وان شئت فقل أنه وجود كلي تشمر جزئياته بالعيشة فيه، ولا شيء من ذلك كله يضع في ركوب متن البحار، ولا في اجتياز المفاوز والقفار، اذا نقش على لوح القلب، ومحقت به النفس،

جاءت أخبار من بلاد اليبس وبواسطة بعض معارفنا تحمل على الاعتقاد بان رولوريس قد سلبت أموالها بتواطيء حصل بين أقاربها وقد استفتينا المارفين بالقانون فكادوا يجمعون على ان هذه القضية الغامضة لا ينبغي غموضها ولا ينكشف سرها الا في البيرووانها تقتضي

(١) فليس الثاني هو ابن امتاس أحد ملوك مكدونية الخمسة الذي تسموا به هذا

الاسم حكم من سنة ٣٥٩ الى سنة ٣٣٦ ق م وفتح بلاداً كثيرة

ان توسط فيها صديقا يهد اليه بمصلحة الفتاة المهضومة فنقنا عن هذا الصديق فلم تقع عليه صنائع البر يستلزم بعضها بمضاقاتنا وان لم تبين هذه الفتاة الاجنبية فقد التقطناها وأوريناها الى بيتنا وصار من الحق علينا انصافها في بلدها

فكرت في أن اسافر بنفسي للقيام بهذه المصلحة. فرأيت غير واحدة من العقبات تدافعني عن تنفيذ هذا العقد من ذلك ما يقتضيه قطع تلك الثقة البعيدة من النفقات وعدم احتمال الفوز بالحق في الدعوى والروابط التي تربطني بالبقاء في أوروبا وبالجملة فإن سبعين اعتراضا قويا قد وقفت بي موقف المتردد بين الاقدام والاحجام فقد نماهدت انا وهيلانة بعد الذي ذقناه من ألم الفراق ان لانفترق ولا أدري ان كان في مكنتها احتمال سفر شاق كهذا ولو انه اقتضى ان نحتمل مضمض الفرقة مرة ثانية لما تريت في اطراح خاطره على ان هذا الخاطر لا يزال يساورني والحالة التي أصبحنا فيها بسبب كفا التناكك الفتاة العزيزة علينا وما ياحقنا من تبعات التقصير في شؤونها لم تكد تترك لي حرية الاختيار في السفر بل قد شعرت بوارد يأمرني به أمرا

وأقول على أي حال: افلا يجوز ان يكون الانسان منافقا يتخذ المقذور من حيث لا يشعر ستارا لإخفاء نفاقه؟ أفلا يصح اننا مع اعتقاد امتثالنا في العمل لحكم الضرورات تتبع في اغلب اعمالنا ما توجيه الينا شهواتنا او نمزج المصلحة التي تخيل اننا نقوم بها لغيرنا بشيء من الأثرة او يكون ميل الغريزي الى التجوال هو الذي قد تنبه في نفسي واجتهدت في مواراته بحجاب صنيعه الممروف او ان تكون لي غاية خاصة او سبب خفي يدفعني الى تغيير الهواء الذي انا فيه

لست أقطع بشيء من ذلك ولكني كلما تساءلت خيل لي ان قصدي الاول انما هو نفع الولدين اللذين اخذت على نفسي تربتهما

لو كان في وسعي ان لاستفتي الاميلي وذوقي لجاز ان لاتكون البيرو هي المكان الذي اتخذه من الأرض موضوعا للدرس والتعليم وذلك لفرط بعدها ولكن ما الوشع السفر اليها من ماهب تجلي فيه كثير من الوقائع والمرآي اذ يرى المسافر سموات مجهولة له يعمرها من الكواكب ما لا ينير أقطارنا الكامدة ليلا، وبحار امشحونة بالفرائب، وسواحل قاصية ابرزها للعيان فعل الحبال النارية، وخليطا من الاجيال الآدمية التي لما يتم امتزاجها وتسفر اخلاقها عن تاريخ تام

سن المراهقة هو السن الذي يكون فيه التأثير قويا فهو الذي تنتعش فيه على المخ
صورة العالم الخارجي ثم انتعاش وأدقه ولقد حصل «أميل» من العلوم الصحيحة - ان لم
أكن واحدا - ما يكفي لاشتغاله بالكون وسيؤهله درس الوقائع الكونية المحسوسة لدرس
المفولات فان تعاليم فن الالفاظ ومحسنات اللغة لحدث لما يشاهد شيئا بنفسه ويراقبه ويحس
به كثر الزهر في كهف اه

المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت

التعليم الابتدائي لا بد منه لكل فرد من أفراد الأمة صناعاتها وزراعتها وأجرائها
والتعليم العالي لا بد منه لطائفة من خواص الأمة الذين يعملون الأعمال الكبيرة
كالمعلمين والمؤلفين والساسة والقضاة والأطباء ومديري الشركات المالية وكبار التجار
فإذا لم تتعلم الطبقات الدنيا التعليم الابتدائي كان أفرادها كالبهايم لا صلة بينهم وبين المتعلمين
ويسهل على كل دجال ومحتال ان يقودهم الى ماشاء من الشرور ، واذا اكتفى الخواص
بالتعليم الابتدائي كان ضررهم في الأمة أشد من ضرر الموام الأعميين لانهم يعجزون
عن الرقي بها والقيام بشؤونها الكلية فيختل النظام ، ويصل مزاج المصالح ، وينصرف
هؤلاء الزعماء الى الافساد في الارض بجهاالاتهم وشهواتهم ، ولا يكون لهم حظ من
التعليم الناقص الا تقليد الامم الراقية في الازياء والماعون والآثا وذلك يذهب بثروة
الأمة ، ويمنيها بسوء الاسوة ، ويجعلها العوبة بأيدي الفاتحين ، وحلبانة ركبانة لامستعمرين ،
ومن العار على مصر أن تكون على سبقتها البلاد العربية كلها الى التعليم المصري
خالية من مدرسة كلية للعلوم العالية بجميع فروعها فان المصريين يشتغلون منذ قرن
كامل بالتعليم ومنهم من تخرج في مدارس أو ربا العالية ومع هذا لم تسم همتهم الى
انشاء مدرسة كلية تغنيهم عن المدارس الاجنبية الخالية من لغتهم ، ومن الغيبة المليية
التي تليق بهم ؛ على ان مصر أغنى البلاد العربية وأحوجها الى العلوم العالية وخواصها
أعرف بهذه الحاجة من خواص مسلمي سوريا وتونس بله الجزائر ومراكش فان
الكثيرين منهم يرسلون أبناءهم الى أوروبا والى سوريا للتكميل دراستهم في مدارسها العالية
في بيروت عدة مدارس كلية وليس في القاهرة مدرسة واحدة وفي تلك المدارس مئات
من أبناء المصريين وقليل من أبناء مسلمي سوريا وانما كان هؤلاء قليلا لان الآباء
يخافون على عقائد أبنائهم من هذه المدارس فانها كلها دينية ومديروها ونظارها من
القسيسين وهم يلزمون التلميذ المسلم بدخول الكنيسة وصلاة النصرى فيها. وفي مدارس

الجزويت يحولون بينه وبين كل ما يذكره بدينه حتى انهم يحرفون ما يطبعونه من كتب المسلمين فينسبون كلام الله فيه الى الناس الجهولين وكذلك كلام رسوله عليه السلام ويكذبون على الاسلام والمسلمين في التاريخ انفروا تلامذتهم عنه. وأمثل مدارس سوريا وأوروبا للمسلم المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت فأثما أحسن تربية لما فيها من روح الحرية والاستقلال. واللغة العربية فيها معنيها لاسيما في هذا العهد اذا الاستاذ الاول لعلومها جبر أفندي ضومط صاحب كتاب (الخواطر الحسان، في المعاني والبيان) وكتاب (فلسفة البلاغة)، الواسع الاطلاع على الآداب الاسلامية، المجبولة طينته بفضيلة الانصاف، المقدم بتربية النفوس على الفضائل، غرامه بتربية العقول على الاستقلال في طلب الحق، الذي يعتمد في علم الاخلاق على كتاب الاحياء للغزالي أكثر مما يعتمد على سواه

وقد وجد هذا المعلم المربي مجالاً فسيحاً لاهمل بمذهبه في التعليم والتربية على عهد رئيس المدرسة الكلية الحاضر الدكتور (هورد بلس) الذي يقول ان حياة المدرسة في ثلاث - كلمة «لا إله الا الله» وطلب الحقيقة بالاخلاص والنظر الى المخالفين في الدين من جهة الاتفاق لا من جهة الاختلاف. هكذا حدثنا عنه صديقنا جبر أفندي عند زيارته القاهرة في أوائل هذا الشهر وخطبته في كنيسة المدرسة يوم المولد النبوي تؤيد ذلك وقد نشرت «ثمرات الفنون» يومئذ ما خصها فدل ذلك على ان هذا الرجل اشبه بفيلسوف إلهي منه بقسيس نصراني. فأين منه الامر بكان المتعصبون في مصر وجملة القول ان المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت أمثل للمسلم من مدارس مصر وسوريا والاساتنة وأوروبا فهي مدرسة تربت ولا تزال تربي رجالاً بل هي الآن للمسلم خير منها قبل الآن. اما المدارس الابتدائية فخبرها للمسلمين المدرسة العثمانية الاهلية في بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاستاذ الامام - عودته

عاد الاستاذ من سياحته في اوربا والجزائر تونس فلتقاء محطة القاهرة فالجماهير من العلماء والوجهاء وهي حفاوة داعيتها المحبة والاجلال، ولم تهمد لغير في هذه الديار وقد اثني على حفاوة أهل الجزائر وتونس وحكومتهم مابه وقال انه رأى روحاً جديدة في العلماء وتوجه جديدة من فرنسا للمسلمين وانه يرجو بذلك للبلدين حياة عالمية سديدة، ونهضة اسلامية قريبة. فيألف الخ كجرايح كرم. ويوجد العلة الى العلوية وسنشر بعض فوائدها، فيما بعد

www.alukah.net اهداء كلمة للمشاركين أو كلمتان

لا يكاد يمضي يوم الا ويجئنا فيه مع البريد كتاب أو كتب من المشاركين يطلبون فيها أجزاء ناقصة من المنار وقلما يرسل أحد منهم منها الذي عيناه ونشر اعلانه على الغلاف دائما ومنهم من يلح في ذلك ويكرر الطلب ولنا العذر في عدم المجابفة (يراجع الاعلان في الصفحة الرابعة من الغلاف) هذه هي الكلمة الأولى واما الثانية فترجو من المشاركين الكرام حيث لا وكلاء للمنار التفضل بإرسال قيمة الاشتراك حوالة على البريد في مصر وان لا يحوجونا الى المكاتبة وتفقة التحويل كما فعل ذلك الفني العظيم في بني سويف اذ طالبناه بثمان المجلدات التي اشتراها من المنار وبقية الاشتراك فما أغنى عنه الطلب وحوالنا عليه فلم يغن التحويل فلو استن الناس بسنة هذا الفني لبطلت الاعمال وفسد العمران وهلك الانسان ولعله يرجع الينا المجلدات والجزاء اذا شق عليه ارسال ثمنها ولا يحوجنا الى التصريح باسمه خلافا لعادتنا

﴿ العبرة في ثورة مكدونية ﴾

كل يوم تأتينا البرقيات والصحف الاوربية بضروب من أخبار الثورة وآراء أهل أوروبا فيها وكلها عبر للمسلم ولكن نقلتها في صحفنا لا يوجهون النفوس الى طرق الاعتبار بها. قامت قيادة اساقفة الانكليز على حكومتهم وكتبوا يحرضون الامة على الحكومة لتحماتها مهم على الانتصار لنصارى مكدونية والسعي في إنقاذهم من حكم المسلمين وقد اضطرت الحكومة أن تدافع عن نفسها وتبرئها من تهمة مساعدة الدولة العثمانية في الربع الاخير من القرن الماضي وتفخر بأنه تيسر بمساعدتها وضع قبرص والبغاارور وماينا والبوسنة ومصر وكريت تحت لواء أوروبا كما اعتذرت عن عدم السعي في استقلال مكدونية بأن العنصر الاقوى فيها مسلمون متعصبون لدينهم ولسلطتهم هذا وانك ترى أكثر الجرائد الاوربية والمقلدة لها في الوسائل والمقاصد تندد بنج الاراك وتمكيلهم بالنصارى في البلاد النائرة أي بانثائرين ومساعدتهم ولكنها تمدح الثائرين وتطلب مساعدتهم على احراق بيوت الله وبيوت الناس والفتك بحكامهم الترك وسائر المسلمين

ولو أن الدولة العلية قصرت أو محجرت عن تأديب هؤلاء الثوار الأشرار لكانت في نظرهم أحق بالتأنيب، وأحوج إلى التأديب، وقد كتبت جريدة فرنسية مقالة في هجو اليونان لأنهم لم يساعدوا الثارين عملاً بمصلحتهم وقالت الجريدة ان المسألة ملية يجب فيها العمل بالغيرة الدينية، دون المصلحة السياسية، وقد عبرت هذه المقالة جريدة الجوائب المصرية،

فليعتبر بهذا المنفر مجنون الذين يزعمون ان أوروبا فقدت الغيرة الدينية ويجهلون انه لولا هذه الغيرة لما ثارت نضرائي في كريت ولا مكدونية ولا غيرها وان هؤلاء الثوار يعلمون أنهم يعجزون عن الخروج من سيطرة الدولة العثمانية بالقوة ولكنهم يعتمدون على انتصار الشعوب الاوربية لهم والزامها بحكوماتها بمساعدتهم. وان كانت الحكومات تقدم مصالحها على مصلحة الدين فان من مصالحها أيضاً رضا رعاياها و مراعاة احساسهم الديني. اما هذه الثورة فقد استعد لها المقدونيون في بلاد الدولة وفي بلاد البلغار استعداداً عظيماً مبنيًا على العلوم والصنائع فدارس النصارى في تلك البلاد تعلمهم عمل الديناميت لأجل الاستقلال، وغير ذلك من العلوم والاعمال، والمسلمون لا يتعلمون الا ما ينكث قلوبهم، ويقطع روابطهم؛ فلو صبر الثوار لاستولوا عليهم بالعلم، ولكنهم عجلوا الى امتشاق السيف، والدولة لم تكن غافلة عما يعملون ولكن السلطان الاعظم يجب مداواة الادواء باللين ما وجد الى ذلك سبيلاً ولذلك كان يمنح الرتب والوسامات لكل من توسم منه الشر فلما جاء الميقات، لم تكن الرتب والوسامات، وكل ما هو آت آت،

فتك الهیضة في حمص وطرابلس

كان فتك الهیضة في هذين البلدين أشد منه في سائر البلاد السورية وقد قلنا في جزءه مضى ان أكثر من يصاب ويموت به في طرابلس الفقراء الذين لا يباليون بالنظافة و مداراة الصحة ولكن قدماء به في حمص جماعة من خيار أهل العلم والدين وهم

(١) الشيخ محمد المحمود الاناسي — كان هذا الرجل شيخ العلماء وكبيرهم في حمص مات عن ثمانين سنة لم يسأم التدريس والتعليم في أواخرها كما سئم لبيد الحياة في مثل سنه لان الانسان لا تطيب له الحياة بعد ذهاب الاطيين الا اذا كان له حياة عقلية وروحانية ينعم بها وكان رحمه الله تعالى ورعاً قوفاً لم يأكل قط بعلمه ودينه على انه كان أكبر العلماء جهاً ولم يأخذ من مال الاوقاف شيئاً على انه كان المدرس الاول في الجامع الكبير. وكان عالي الهمة سليم القلب رقيق الطبع حسن الفكاهة حافظاً للناس في غيبتهم كحضورهم ويعتقد المارفون بحال البلاد انه أحد الافراد الذين حفظ بهم العلم

www.alukah.net الإسلامي منذ ستين سنة اذ بلغ النهاية من الثلاثي

(٢) الشيخ انيس الموحى وهو من فقهاء الحنفية الماهرة وكان مرجعاً للخاص والعام في أحكام في المعاملات لاسيما مسائل الأزواج قضى في سنن الحسين، ولم يكن من الفقهاء الجامدين،

(٣) محمد سعيد افندي الحكيم - كان من الشبان الاذكياء المشتغين بالعلم المحيين للإصلاح وتعلم الطب من والده وغيره وعمل به ولكن الاجل اذا جاء لا ينفع معه طب ولا ينجم منه طيب على أنه يقع بسببه ولكن الانسان لا يهتدي دائماً للوقوف على الأسباب والعمل بها

(٤) الشيخ علي العمري - أماض راياس الشام فلم يمت فيها من الرجال المشهورين بالعلم أو غيره أحد الا الشيخ عليا العمري وهو لم يمت بالهيفة البوابة بل بمرض آخر كما ينهم من ترجمته في جرائم ديروت مات عن تسعين سنة وكان أكثر الناس يعتقدون صلاحه وكرامته ويتناقلون عنه من الخوارق والغرائب ما لا يحصى وأشهرها انه كان يفت في قفجانة القهوة وقده انشاي أو يشرب منهما قليلا فتكون له مارتحة مسكية ويأخذ عوداً أو قطعة من الحصر أو غيره فيضعها في النار فتكون رائحة دخانها كرائحة العود الهندي ويأخذ عوداً من الكبريت أو خللاً فيبله بريقه ويكتب به تيمة لطالها على انه كان أمياً . ومن الناس من يأول أمثال هذه الغرائب وينقلون عنه ما هو أغرب منها . ومما امتاز به على متحلي الكرامات من شيوخ الطريق انه كان يأتي بأغرب خوارقه في ملأ الامراء والوزراء ، على أن القوم يخصصون بها العامة والأغنياء ، وان مختار باشا الغازي يروي عنه من الخوارق مثلما يروي عنه الدهاء في طرابلس الشام . وقد عرفناه وكان بيننا وبينه مودة ولكن كاتب هذه السطور لم يرم منه شيئاً يتعاصى على التأويل

أما أخلاقه فأخصها التواضع والبروة وحفظ اللسان والسبي في مصالح الناس وكان محترماً عند المظالماء ببول الشفاعة عند لولة والحكام وقد كان يهتم به بعض الناس بترك الصلاة والكني مارأته ترك صلاة واذكر انه كان ناعماً عندنا في الحجره التي أنام فيها فاستيقظت في جوف الليل على تهجده ولم أشعره بذلك . ولم يكن يعاهد الناس على الطريق ولا يجمعهم على الذكر ولا يتكلم بالتصوف ولا الوعظ تعنده الله تعالى برحمته الواسعة وأحسن عزاء انجاله ومحبيه



فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فينبون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المعجزة

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوتاً و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر - الخميس غرة شعبان سنة ١٣٢١ - ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٠٣)

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

﴿سورة العصر﴾

اقترح بعض العلماء في الجزائر على الاستاذ الامام ايام كان عندهم ان يقرأ لهم درساً عاماً يستفيدون منه ، ويتحقق به تلقيهم عنه . ففسر لهم سورة العصر وقد كتب بعض من حضر الدرس ملخص ماقاله الامام وكتب بعضهم يقول ان بعض الكتاتين اخطأوا فيما كتبوا واقترح ان يكتب الاستاذ الامام نفسه تفسير السورة وينشر في المنار ليصحح عليه الكتاتيون ما كتبوا ففرضنا ذلك عليه فكتب أيده الله بروحه ما يأتي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَأَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ *

المرجع ان هذه السورة من المكيات ، وقد ورد عن الشافعي فيها أنه قال : لو لم ينزل الا هذه السورة لكفت الناس : وفي رواية عنه : لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم : وصح ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا اذا

اجتمع اثنان منهم لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر هذه السورة الى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر . وقد ظن الناس أن ذلك كان للتبرك وهو خطأ وإنما كان ليذكر كل واحد منهما صاحبه بما ورد فيها خصوصا من التواصي بالحق والتواصي بالصبر حتى يجتلب منه قبل التفرق وصية خير لو كانت عنده

جرت سنة الله في كتابه ان يقسم أحيانا بشي من خلقه أو بشأن من شئونه لينبه الناس الى ما أودع فيه من الحكمة وانهم ان كانوا قد نسبوا اليه شيئا من الشر او ظنوا فيه ضربا من السوء فهم مخطئون فان السوء والشر ليسا في هذه الاشياء وإنما هذا في نفوس المستعدين أو المعتدين وقد كانت أديان يظن أهلها ان هذا الكون الزماني وما فيه كونه شر وفساد ومن الواجب على طلاب السعادة ان يحقروه وان يفروا من طيباته ويجردوا نفوسهم الى عالم آخر فوق عالم الكون والفساد. فجاء الكتاب المبين بين لهم سوء فهمهم عن الله . ومن طرق تنبيههم الى خطأهم تلك الاساليب التي جاءت في القسم ووردت في الكتاب. أراد ان يكشف لهم ان هذه الاشياء من حكمة الله بالمنزلة التي تبلغ ان يقسم الله بها كأنها مما يعظمه الله وناهيك بذلك الذي يعظمه خالق كل شيء ووجود كل موجود الذي لا وجودا شيء الا منه

المصر إما القطعة المعروفة من الدهر وهو الزمن الذي يعيش فيه المتكلم مع غيره سواء قدر بعدد من السنين كثة سنة مثلا أم لم يقدر، وإما الوقت المعروف من النهار ما بين الظهر والمغرب وكل منهما تصح إرادته. وقد اعتاد الناس سب الاول فكل يشكي من عصره ويقول:

هو عصر جهالة ونذالة ، ونقص مروءة ، وخبث طوية ، ورداءة عمل ، وينسبون ماشاءوا من الخير الى ما كان قبل عصرهم من العصور فاراد الله ان يزج تفوسهم عن مثل هذا الاعتقاد بأن أقسم به ليدش عقولهم بمعظم ما ألفوا تصفيره ، ورفع قدر ما اعتادوا تحقيره ، والمعصر بالمعنى الثاني كان الوقت الذي يجتمع فيه الاعطال من العرب قريش وغيرها اما عند الحرم أو في مواضع أخر من متديات الاحياء ويخوضون فيما لا خير فيه من غيبة أو هزة وسخرية او لفو من الحديث مله عن جد العمل فوتر في تفوسهم ان ذلك الوقت نفسه هو قرارة السوء ومجتمع الشر فدفع الله ذلك عن الزمان اليهم وعلمهم ان الوقت نفسه بمنزلة من الشرف يصلح معها لان يقسم به خالق السموات والارض فكان عليهم ان يستعملوه فيما يناسب هذه المنزلة ويشغلوه بطيبات الاعمال فيخلصوا بذلك من الخسران الذي لم يلحق بهم الابيئات أعمالهم

إنما ورد هذا القسم - على أي المعنيين - تأكيد للخبر الذي أراد الله أن يسوقه لنا وهو ان الإنسان في خسر الخ وإنما احتاج هذا الخبر الى التأكيد لأن كثير من الناس يظنون ان من الأحوال والاعمال وراء ما ذكر في هذه السورة مالا خسار فيه بل يعتقدون ان السعادة في التخلص من عقد الايمان، والعتق من قيود الفضائل، وانطلاق النفس فيما يسمونه متمتع الفكر، وحرية العمل، بدون تخرج من رذيلة، ولا إجحام عن فاحشة، متى كانت تلذ للنفس في العاجل، وان أدت بها الى الهلكة في الآجل، وأن من الامم من يسعد وان اتبع أفرادها أهواءهم، وملكتهم شهواتهم، ماداموا يكسبون المال ووفرون على أنفسهم وسائل القوة في زعمهم سواء

« آمنوا أم لم يؤمنوا ، عملوا الصالحات أم لم يعملوا ، تواصلوا بالحق والصبر ، أم لم يتواصلوا ، وأمثال هؤلاء الظانين يتفوق عددهم الحصر في كل زمان ومكان »
 « أل » في الانسان للاستفراق كما يدل عليه الاستثناء في قوله « الا الذين آمنوا » والاستفراق بأل في لسان العرب ليس كالأستفراق بلفظ « كل » الذي يسور بها المناطقه قضاياهم الكلية وايست «أل» مساوية لكل التي تضاف الى النكرة ويريد بها العربي تعميم الحكم في جميع أفراد الجنس وانما يراعى في «أل» استفراق المهود عند المخاطبين لأنها في لسانهم للعهد وتعريف الجنس إما في فرد أو أفراد ولن تفارق العهد في حال من الأحوال . وكذلك التي يسميها النحاة للعهد الذهني ويتحيزون في الفرق بينها وبين النكرة ثم يقول من لا يعرف خصائص اللسان منهم : ان الفرق في اللفظ واجراء أحكامه أما المعنى فلا فرق فيه : وهو وهم فاسد فان قول الرجل لعبده : اشتر اللحم من السوق : لا يفهم منه أي لحم في الكون بأسره ولا أي سوق في العالم بأبنته ولكن قد عهد السيد نوعا خاصا تعود العبد شراؤه وأسواقا خاصة هي أسواق المدينة التي يقيم فيها وان لم يتمين أحدها فالعهد والتعريف به لم يفارقها . والفرق بين المعنى معها والمعنى في النكرة واضح لمن يعرف خصائص اللسان

والانسان الذي تجري عليه أحكام الانسانية ويحدث عنه في مثل هذه الشؤون هو من بلغ سن الرشد : ايملا يميز بين الخير والشر و ليس يخطر بالبال عند التخاطب في مثل هذا المقام الصبيان غير المكافين ولا المجانين . ولو أتى بلفظ « كل إنسان » لشمئ ذلك . ولا تؤدي «أل» «وؤدي» «كل» الابقرينة .
 قال استفراق في الآية على حقيقته وهو شامل لجميع أفراد المكافين من

الناس سواء كانوا ممن بلغتهم رسالات الانبياء ام ممن لم تبلغهم كما سيأتي بيانه
والخسر في اللغة يطلق على الضلال وعلى الهلاك وعلى النقص وكل
ما جر عليك عملك من شر فهو خسر لك وخسران وخسارة لانك كنت
تبتغي بعملك الفائدة والثمرة الطيبة تجنبها منه فاذا جر عليك ما كنت
تتوقاه ، وحرمتك ما كنت تتوخاه ، فقد خسرت لانك ضللت في القصد ،
ودخل النقص عليك في بنية نفسك ، وأتاك التعب من حيث تطلب الراحة ،
وكل ما آلمك وأشقاك وأقلق نفسك ، واضطرب له قلبك ، فهو نقص في
لدتك . واذا عملت عملا وانت تقصد به سكون القلب ، وهناء العيش ،
فحدث انزعاج النفس ، ونقص الطمأنينة ، فقد ضللت به في القصد ، وخسرت
في السعي ، والخسر في الآية مطلق لا يتقيد بدنيوي أو أخروي فكل
مكلف ممن لم يتصف بالاصناف الآتية (في السورة) يصيبه حظ من
الخسران في هذه الحياة أو في التي بعدها ، لأن السورة مكية كما قلنا والخطاب
في المكيات ، كانت تراعي فيه العمومات في كثير من الآيات ، كما تراه
في سورة « والليل اذا يغشى » مثلا والخسر بفقد الراحة وطمأنينة النفس
الايمان في هذه السورة مطلق كذلك لم يتقيد بشي كما ترى ولكنه
محمول على ما هو معروف عند المخاطبين والامس بعموم الخطاب انه اذعان
النفس لليقين بالفرق بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة وبأن على الوجود
مسيطر ارضى الخير ولا يرضى الشر ويحب الفضيلة ويكره الرذيلة وأن
من رحمته ان يخص من شاء من خلقه باطلاعهم على شيء من سره وأمرهم
بأن يدينوا للناس والتبس عليهم من مذاهب أعمالهم ، ويعرفوهم مداخل
الاهواء الفاسدة الى قلوبهم ، ومسالك الدلائل الصحيحة الى عقولهم ،

فقبلوا على هذه ويتلقوا ما يساق اليهم منها، ويسدوا على أنفسهم تلك
ويقيموا من العزم حارساً على نوافذها يمنع ما عساه يهوي اليها، وهذا
الايان هو المدلول عليه بقوله تعالى في سورة (والليل اذا يفتشى) : «وصدق
بالحسنى» : وليس الايمان هاهنا هو التصديق المقرون بالاذعان لتفصيل
الاحكام الواردة في شرعنا خاصة فان الحكم انما هو على الانسان في
جميع أمكته وأزمته لا يختص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم بل يعم الامم
جميعها ماضيها وحاضرها ومستقبلها فالكلام في السورة لتقرير حكم عام
من أحكام الانسان في نفسه وانما تدخل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم
في حكم هذا العام ويكون من بلغته تلك الرسالة ولم يصدق بجميع ماورد
به القطعي سنداً ودلالة من نصوصها خاسراً في الدنيا والآخرة بحكم
هذا النص من جهة عمومته وبالنصوص التفصيلية الاخرى التي وردت
في كثير في سور القرآن

وليس الايمان كذلك مجرد ما يسميه الناس اعتماداً وان كان محض
التقليد لا عمل لعقل ولا لوجدان فيه فان مثل هذا الايمان قد خسرت
معه أمم كثيرة ممن صدقت بمرسلين صادقين ، وأنبياء هادين، وإنما المراد
منه ذلك التصديق المقرون بطمأنينة النفس وخضوع القوى لحكم ما آمن
به «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» ذلك الايمان هو الذي كان
الله ولا يزال ينوط به النجاة من الخسران في الدنيا والآخرة. وسيأتي
إيضاح ذلك أيضا

أما هذا الذي يلقاه الناس من أفواه آبائهم فينشأ ابن المسلم لا يفهم

معنى لما يعتقد أو لما يقول أبوه وإنما ينطق كما ينطق وتأخذه الحمية لما يراه يحى له لا يفهم لذلك معنى ولا يجد لنفسه فيه بصيرة كما ينشأ ابن النصراني أو ابن اليهودي أو ابن المجوسي على مثل ذلك - فهو مما لا يعتقد الله به وإنما يعتقد الله بتلك السكينة الروحية التي تشعر النفس بمهبطها اليها وذلك العقد القلبي الذي يعرف القلب مكانه منه . هذا هو الايمان الذي يليق ان يسمى حياة للنفس يعدها للشعور بجميع ما يازم له وما يصرح ان يحمل عليه . أما ذلك الذي سموه إيمانا وهو ليس به فهو مما يقتل النفوس ويهلك الأرواح ويسلك بها مسالك الجهل وينتهي بها الى مهاوي الهلكة أما الصالحات في هذه السورة فهي تلك الاعمال التي عرفت عند الناس بأنها من أعمال الخير النافعة لخاصتهم وعامتهم المتفقة مع مصالحهم التي لا تنكرها الاذواق السليمة ، ولا تجافها الطبائع المستقيمة ، ومنها ما هو من ضروب الشكر لمفيض الخير والاحسان على الخلائق أجمعين كالعبادات الصحيحة التي جاء بها كل دين صحيح في أي أمة من الامم التي دعيت الى الأخذ بذلك الدين زمن العمل بشريعتها . ومنها ما هو من ضروب البر كبذل الاموال في طرق الخير والسعي في اغاثة المنكوبين ، واقالة العشار ، والعدل في الحكم ، وانقاذ المظلوم من الظلم ، ونحو ذلك مما يطول تفصيله ، ومنها فضائل الملكات التي تصدر عنها الصالحات كالامانة والشفقة والانصاف والمحبة والاخلاص وأمثال ذلك . كل هذا يسمى صالحات وان كان منه ما هو بدني يتعلق به العمل الظاهر ، ومنه ما هو نفسي يتعلق به العمل الباطن ، والعمل يتعلق بالملكات لانها انما تحصل عادة بترويض النفس عليها ، ومجاهدتها في سبيل تحصيلها ، ويدخل في هذه الاعمال عند كل أمة

ماوردت به شريعة رسولها ويدخل فيها ما هدى اليه العقل عند الاسم التي لم تبلغها رسالة . وان من أصول الصالحات ما هو معروف عند البشر عامة لا تختلف فيه أمة كالأصول التي ذكرناها قبل أسطر ولذلك سميت في الكتاب بالمعروف وسميت أضدادها بالمتكر أي ما تعرفه النفوس السليمة ، وما تشكره العقول الصحيحة

التواصي ن يوصي كل من الشخصين صاحبه بشي . والحق ما يقابل الباطل وهو يكاد يكون معروف المعنى عند كل الناس وإنما يخطئ أغلبهم في حمل هذا المعنى على جزئياته فيأتي الواحد منهم الى أشد الباطل بطلانا ويقول انه الحق . فلو حمل الحق هاهنا على ما يراه الموصي حقا لكان المعنى : وأوصى كل منهم صاحبه بما يعتقد حقا وطالبه بالآخذ به : وربما كان الآخر لا يعتقد أن الحق مع موصيه فيكون التواصي ضربا من التنازع لأن كلا يدعو الآخر الى ما لا يرضاه وهو النزاع بعينه فلا يصح حمل المعنى عليه وإنما الذي يصح ان يقصد هو ان يوصي كل واحد صاحبه بتحري الحق فيما يعتقد بأن ينبهه الى الحرص على البحث في الأدلة والتلطف في النظر للوقوف على الحق الذي هو الواقع لا يختلف فيه بعدمعرفة وجهه فاذا رأى منه ضلة هداه باقامة الدليل على ما هو الهدي ، واذا رأى منه تقصيرا في النظر نهض به اليه ، واذا وجد منه رجوة في الآخذ بظواهر الامور دون النفوذ الى بواطنها نصح له بأستعمال الروية وامعان الفكرة . وهكذا يكون على الآخر ان يعمل مع صاحبه مثل ما يجب عليه ان يعمل معه . وفرض التواصي على كل واحد يبيح للصغير او يوجب عليه ما يبيح للكبير أو يوجب عليه من ذلك الا انه لا يمنع من رعاية كل قائم بواجب عليه حق

الآخر فلو وصية الصغير وعرضها على الكبير طريقة غير مألوفة سوق الوصية من الكبير الى الصغير يعرف ذلك القوم على حسب آدابهم وما اتوا في مخاطبتهم . والتواصي بالحق يدخل في الصالحات وإنما ذكره بلفظه لينوه بفضله ويشير الى انه أصل بنفسه تناط النجاة به استقلالاً .

ولا يصح ان يظن ظان ان النجاة منوطة بالتواصي بالحق وان لم يكن الموصي آخذاً به فلو كان مبطلاً وأوصى بالحق فقد نجح، هذا مالا يعقل وإنما جاءت الآية الكريمة على طريقة الایجاز التي فضل بها القرآن جميع الكلام فان المراد من كان على الحق وأوصى به . ومن المعروف عند العقلاء أنه لا يوصي بالشيء ولا يدعو اليه الا من أصاب منه الحظ الاوفر وكيف يدعو الى أمر ويحسن الدعوة اليه من لا تكون له من ذلك الأمر حلية يعرف بها . وما تراه من قوم يدعون الى المعروف وهم يقيمون على المنكر فذلك لا يعد دعوة صحيحة لانهم لا يعرفون كيف يدعون وهم في دعوتهم الى ما يدعون اليه ينفرون الناس منه ولا يميلونهم الى ناحيته وخطاب الكتاب إنما جاء على المعروف المألوف عند العقلاء . وإنما قال «وتواصوا» ولم يقل : وأوصوا : ليبين ان النجاة من الخسران إنما تناط بمحرص كل من أفراد الأمة على الحق ونزوع كل منهم الى أن يوصي به قومه . ومن يهده أمر الحق ليوصي صاحبه بظلمه يهده ان يرى الحق في قلبه فكأنه في هذه العبارة الجزلة قد نص على تواصيتهم بالحق وتبواهم للوصية به اذا وجهت اليهم والصبر خلق من أمهات الأخلاق بل مساك كل خلق . قالوا في فضل الصبر إنه ذكر في القرآن نحو سبعين مرة وليس لنا فائدة كبرى في تحديد العدد ولكن جاء في الكتاب العزيز ذكر الصبر ومدح أهله وتبشيرهم

بالفوز والفلاح، والصبر ملكة في النفس يتيسر معها احتمال ما يشق احتمالُه

والرضى بما يكره في سبيل الحق وهو خلق يتعلق به بل يتوقف عليه كمال كل خلق وما أتى الناس من شيء مثل ما أتوا من فقد الصبر أو ضعفه . كل أمة ضعف الصبر في نفوس أفرادها ضعف فيها كل شيء ، وذهبت منها كل قوة ، ولنضرب لذلك مثلاً نقص العلم عند أمة من الأمم كالمسلمين اليوم ، إذا دقت النظر وجدت السبب فيه ضعف الصبر فإن من عرف باباً من أبواب العلم لا يجهد من نفسه صبراً على التوسع فيه والتعب في تحقيق مسأله وينام على فراش من التقليديين أين لا يكافه مشقة ولا يجشده تعباً ويسلي نفسه عن كسله بتعظيم من سبقه ولو كان عنده احترام حقيقي لسلته لا يتخذهم أسوة له في عمله فحذا حذوهم وسلك مسلكهم وكاف نفسه بهن ما حملوا أنفسهم عليه واعتقد كما كانوا يعتقدون أنهم ليسوا بمصومين . ثم هو إذا تعلم لا يجهد صبراً على مشقة دعوة الناس إلى علم ما يعلم وحملهم على عرفان ما يعرف ولا جلدًا على تحصيل الوسائل لنشر ما عنده بل متى لاقى أول معارضة تبع في بيته وترك الخلق للخلق كما يقولون . يجاس الطالب للدرس سنة أو سنتين ثم تعترضه مشقة التحصيل فيترك الدرس أو يتساهل في فهمه أو يكل والده من الاتفاق عليه فيصرفه إلى حرفة أخرى يظن أنها أربح له فينتطح عن الطلب، ويذهب في الجهل كل مذهب، وكل هذا من ضعف الصبر

يبخل البخيل بما له ويجهد نفسه في جمعه وكثره وتعرض له وجوه

البر فيعرض عنها، ولا ينفق درهما في شيء منها، فيؤذي بذلك وطنه وملكه، ويترك الشر والفقير يأكل قومه وأمته ، ولو نظرنا إلى ما قبض يده لوجدناه ضعف الصبر ولو صبر على محاربة خيال الفقر اللاتح في ذهنه

مهدده بالنزول به، لما أصيب بذلك المرض القاتل له ولاهله،

يسرف المسرف في الشهوات، ويتهتك المتهتك في المنكرات،
حتى ينمذ المال، وتسوء الحال، ويستبدل الذل بالعر، والفقر بالفنى، ولا
سبب لذلك الاضياع صبره في مقاومة الهوى، وضبط نفسه عن مواقع
الردى، ولو صبر في مجاهدة تلك النزغات لما كان قد خسر ماله، وأفسد حاله
وهكذا لو أردت أن أعد جميع الرذائل وأبحث عن عللها الاولى
لوجدتموها تنتهي الى ضعف الصبر أو فقده، ولو سردت جميع الفضائل
وطلبت ينبوعها الذي تستمد منه حياتها ما وجدت لها ينبوعاً سوى الصبر،
أفلا يكون جديراً بعد هذا بأن يخص بالذكر، فالحق حياة العلم، ومستنم
السكينة، ومطمان العقل، ومستقر الراحة للنفس، والصبر مستمد الفضائل،
ومدحرة الرذائل، ومساك الصالحات، وملاك الحسنات، فجدير بهذين
الاصليين الجليلين ان يخصا من بين أعمال الانسان بالإشادة بذكرهما،
والتنويه بفضلهما، وانمت النفوس اليهما خاصة، لتبدأ باحرازهما فتصلح
بهما أعمالها كافة،

ربما تبين الناظر فيما ذكرنا وجه الحق في هذا الخبر الكريم وهو أن
الانسان في خسر الا من استكمل لنفسه هذه الصفات التي ذكرت ولكننا
مع ذلك نزيده توضيحاً

الايمان بالمعنى الذي يبناه طور من أطوار النفوس البشرية ارتقت
اليه، لتخلص من سوء حال كانت عليه، النفوس البشرية في طموحها الى
الشهوات هي على نحو ما عليه العجاوات مع امتياز في قوة استحضار الفاتت
وتمثيل الآتي ففاتت سائر نفوس الحيوان في الحرص على نيل ما يلد لها مما

الفتة، وادخار ما يوفّر لها أضعافه فيما يستقبل من الزمن، فكل نفس تستعمل قواها، في تحصيل ما يرمى إليه هوأها، فما أعظم الشرّ تتصوره في أشخاص من البشر لا همّ لوأحد منهم إلا في تحصيل ما يتخيّله لذيداً ونافعاً، واتلاف ما يمثله مؤلماً أو ضاراً، ثم ينظر الى ذلك في يدغيره فيثب عليه ليستخلصه منه لنفسه او ينافه لزعمه انه ضارٌّ به ولا رادع للمعتدي الا ما يكون من المعتدي عليه ولا يصدق أحد منهم بأصل للخير أو للشر أو للفضيلة أو للذلة وإنما الخير عند كل واحد ما يلذّه أو ينفعه سواء آلم غيره أو أخره أم لم يكن كذلك

أي شقاء يصيب النفوس البشرية اذا خلت من الشعور بذلك الاصل العظيم أصل التمييز بين الخير والشر؟ فمن لم يكن مؤمناً بهذا الأصل ولم يصدق بالحسنى كما ورد في سورة الليل فقد خسر خسرانا مبدئنا. الفرد الواحد في ذلك ينال نصيبه من الضلال، وسوء الحال، اذا خلا قلبه من ذلك الشعور فانه ينجب في معاملته لمن معه على غير هدى، فيصيبه منهم ما يصبه من الاذى، ثم هو لا يزال قلق البال، حايف البال، كما لا يخفى. ونصيب الامة من ذلك أعظم من نصيب الفرد، بالاحد له

من لم يؤمن بالقوة العظمى، والقدرة العليا، والحكمة السامية، والسيطرة القاهرة، التي ينهني اليها كل عمل في الوجود، وبأن جميع ماعداها فهو في قبضتها، فقد قصر نظره، وضعف بصره، وعظم وهمه، ووهى معتدله، يرى كل قوة من القوى التي بين يديه كأنها مصدر وجوده، ومصرفه وأموره، واذا أصابه شيء من الشر لا يعرف له سبباً تخيل السبب شيئاً من تلك القوى كما يختر بباله، أو أصحاب شيئاً من الخير بدون كسب منه اخترع

له وهمه مصدر اكل يتفق له ، فتكبر عليه الارباب ، وتندس في وجهه طرق الاسباب ، ويعتمد في شئونه على ما لا يصح الاعتماد عليه ، وهذا هو منشأ ضروب الوثنية ، التي كانت سببا في فساد العقول البشرية ، والخسران الذي نزل بأهلها أفرادا أو أمما لا يخفى خبره على أحد ولا يزال ينزل بها من الخسران ما يسوء أثره الى اليوم

أما من آمن بأن جميع القوى التي تراها إنما تصدر من قوة واحدة وهي تحت نظام تديره إرادة واحدة وأن من الواجب على العاقل اذا جاءه شيء من الخير أو الشر لا يظهر له سببه ان يبحث بعقله حتى يقف على السبب او ينتهي الى متدر الاسباب فلا ريب انه ينجو من شر ذلك الخبط ، ويخلص من ورطة ذلك الخلط ، ويستوي في نظره جميع ما هو في الكون وتساوى جميع أفراده عنده في أنها مربية لا يمتاز شيء منها على آخر إلا بما ميز به من الخصاص ، وما يكون له من الآثار ، فيسكن قلبه من كل ناحية ، ويمظم اعتماده على تلك القوة الواحدة ، ولا يأخذ في أعماله إلا بما سنته له ، فيعتبر ما وضعته من نظام الاسباب والمسببات ، فيجري عليه ثابت الجاش مطمئن القلب ، غير خائف من شيء بعد ما عرف من القدرة الالهية ما عرف

من لم يؤمن بأن الحكمة السامية تقضي بأن يكون في البشر مبشرون وهم نذرون يوضحون السبل ، ويكشفون الحجب ، ويعمض عينيه عن النظر في الأدلة التي تؤيد دعواتهم ، يحرم حظا وافرا من المعارف التي يصعب على عقله أو يستحيل عليه ان يصل اليها بدون واسطة هؤلاء المرشدين ، ويلتبس عليه كثير من أمره ، وتخفى عليه طرق الصواب في كثير من عمله ، فيقع في الشر وهو يسعى الى الخير ، ويصيبه الضر ، من حيث كان يطلب المنفعة ،

من فقد الايمان بالله على الوجه الذي بيناه فأقل ما يخسره قوة العزيمة بالاعتماد على من تحيط قوته بالا كوان ، وأدنى ما يفقده ركون النفس الى مسندها الاكبر عند نزول الشدائد ، (١) وأخف ما يصيبه من الخسران تشتت الاهواء عليه واضطرابه بين دواعيها ، وحرمانه من الهادي الذي يرشده الى الوجهة التي ينبغي ان يولي وجهه نحوها ، فيظل في حيرة لا خلاص له منها ، وأي شقاء أعظم منها ، والاعمى في هذا الشقاء كالأفراد الاعمال الصالحة تتبع الايمان الصحيح في الاغلب غير ان من الناس من يظن ان الايمان قول يعبر عن خيال في النفس لا اثر له في العمل أو انه اعتقاد يتخذه الشخص مميّز له عن غيره في جامعة من الجوامع كاعتقاد المسلم بأنه من أهل التوحيد وانه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليميز بذلك عن غيره من الملل وكاعتقاد كل ذي دين بما يظنه من دينه ومع ذلك لا يأخذ نفسه بالعمل على سنن ذلك الدين . وهذا الايمان لا ينجي صاحبه من الخسران بل لا بد في النجاة من العمل الصالح وقد بينا الاعمال الصالحة فيما سبق إجمالاً ولا خسار أعظم من خسار يحمل بمن لم يأت تلك الاعمال سواء كان ذلك في الدنيا والآخرة

وبيان الخسران بذلك المعنى الذي فهمته تعلم أنه عام في كل من

(١) يؤيد هذا ما ثبت من ان الجنود المتدينة اشجع واثبت من الملحدة أو ضعيفة الدين وقد كتبت الجرائد الاوربية هذه الملاحظة في أثناء حرب انكلترا والفرانسفال ومن ذلك اتفاق المارفين على أن جيش الدولة العلية في مقدمة جيوش العالم شجاعة وصبر اعلى المكاره « هذا وما ... فكيف لو » رجعت الى ذكر الصحابة والتابعين

فقد الايمان وترك العمل الصالح سواء كان ممن بافته دعوة الانبياء وحاد
 عن سنهم أم كان ممن يسهونه (أهل الفترة) أم ممن لم تبلغهم الى اليوم
 دعوة سواء قلنا بنجاة هؤلاء في الآخرة أم لم نقل فان الخسر في الآية
 الكريمة ليس محدودا بخسر الآخرة وخسر الآخرة ليس محدودا بالابدي
 منه فصرح الآيات ان من لم يكن من المؤمنين أولم يعمل الصالحات
 فهو خاسر أي ضال أو واقع في شقاء على ما سبق بيانه. ولا ريب في عموم
 ذلك لجميع أصناف البشر في أي زمان وفي أي مكان وعلى أي حال
 بعد ان ذكر ركنين من أركان النجاة من الخسران في الامم والافراد
 جاء بركنين آخرين لا يتم كل منهما الا بتعاون الافراد ولا يمكن لفرد
 واحد ان يستقل به وهما ركننا التواصي بالحق والتواصي بالصبر على النحو
 الذي بيناه فان التواصي لا يكون الا من متعدد فلا نجاة من الخسران الا بان
 يقوم الافراد من الامة مهما عظم عددهم بأن يوصي كل واحد منهم من
 يعرفه من الباقين بأن يطلب الحق ويتزمه وأن يأخذ بالصبر في جميع شئونه
 فلوان شخصا واحدا قام بذلك وأوصى غيره ولكن الباقين لم يقوموا بمثل
 ما قام به لحل الخسر بالجميع في الدنيا لا محالة فان الامة اذا غفلت معظمتها
 عن الحق والدعوة اليه ووهن الصبر في نفوسهم فلا محالة يستولي عليها
 الباطل وتضمف منها العزائم فيسوء حالها وترمي بنفسها في الهلكة «وَاتَّقُوا
 فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» واما في الآخرة فالخسار إنما
 يحقق بمن لم يوص أو من لم يسمع الوصية ولم يقبلها. فان كان الموصي
 لم يحصل من وسائل التقريب ما يحتاج اليه وكان تقور صاحبه من طريقة
 نصحه ولو سلك غيرها لقبول منه كان الخسار في الآخرة عليه كذلك، وأي

نجاة لامة يسكت أبنائها على المنكر يفشو بينهم ولا يتحرك قوسهم الى
التناهي عنه والمنكر مفسدة الافراد ومقراض الامم؟؟

التواصي بالحق والتواصي بالصبر يدخل فيهما الامر بالمرء بالمعروف
والنهي عن المنكر لان من أوصى بالحق ودعا اليه لا يتم له ذلك حتى
ينهي عن الباطل ويصد عنه ، ومن أوصى بالصبر على مشاق الاعمال الصالحة
لا يكمل له ذلك حتى يبين مساوي الاعمال الخبيثة وعواقب التريط بترك
تلك الصالحات فقد أودع الله في هذين الركنين ركني الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر في جميع الاعمال والاحوال وقرر لنا ان لانجاة لقوم من
الخسران في الدنيا والآخرة الا بأن يقوم كل واحد منهم بما يجب عليه
من ذلك في القدر الذي يمكنه وعلى الوجه الذي يمكنه ، وقد أكد لنا
الخبر بما أورده من القسم فليس في الخبر تجوز ، ولا فيما تضمنه من الامر
هوادة ، فمن الواجب على كل أمة تريد ان تنجو من الخسران ان تقوم بهذا
الفرض وهو التواصي بالخير والتناهي عن الشر أو التواصي بالحق والتواصي
بالصبر ، فاذا طرأ على عوائد الامة أو نزل بها من الحوادث ما ينص اليها التناصح
أو حجب اليها التساهل في فريضة التواصي كان ذلك انذارا بحلول الخسارة
وتعرضا في الدنيا للعار والدمار ، وفي الآخرة لعذاب النار ،

ولا يجوز لاحد ان يتعاطى بذلك تساهل اذا توقع من الامة ويقنع نفسه بأنه

عاجز عن النجاح في نصيحتة وإهدا يكتفيه ان ينكر المنكر بقلبه وبذلك ينجو من جديد

الخسران الاخروي ان لم ينبج من الخسران الدنيوي كما يتوهمه بعض
المسامين اليوم خصوصا أولئك الذين ترونوا بينهم بالامانة فقد أخطأوا
الخطأ العظيم في زعمهم أن إضرار الامة عنهم ينتجهم من التوبة لا اية

إذا لم يبدلوا النصح لهم ولم يبينوا لهم وجه الحق وان أنكروه وصكروا وجه الداعي إليه فقد صدق الله وعده ، وأكذب خبره ، ولا سبيل إلى التأويل في أمره ، ولا إلى جحد ما يتلوه من أمره ،

يحتاج كثير من عامة أولئك العلماء بحديث « من رأى منكماً منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلمه » (*) ولكننا نقول أنه لا يصح الاحتجاج به في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن تغيير المنكر عند رؤيته شيء يتعلق بأمر خاص وهو المنكر المعين الواقع من الشخص المعين وقد يتسامح في معاملة الشخص المعين في حالة مخصوصة لأن مخصوص فإن ملكاً من الملوك أو أميراً من الأمراء الظالمين لا يحتمل أن يقال له : إن الأولى بك أن لا تفعل ما تفعل أولئك لم تفعل هذا أولئك فعلت هذا : فضلاً عن أن يقال له : أترك هذا فإنه منكر أو أفعل هذا فإنه من المعروف : وربما كانت كلمة من هذا القبيل سبباً في اتلاف نفس القائل ، بسطوة ذلك الظالم ، ولكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم ينحصر في طلب تغيير المنكر في هذه الحالة المحدودة بل ذلك شامل للوعظ العام في المساجد والطرق والأسواق والمنتديات وفي أوقات الاجتماع الخاصة وفي الحديث مع الأصحاب والاحبة وفي كل حال من أحوال الاجتماع خاصة وعامة ، ومثل هذا يستطيعه كل واحد من الناس على حسبه فلا يمكن

(*) المنار - تتمه « وذلك أضغف الإيمان » رواه أحمد وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان وهو حجة على تاركه فريضة الأمر والنهي كسلا وتماللاً لأنه يأمر ببذل الاستعانة واستنفاد الطاقة في هذه السبيل على خصوصية

للوضوع كما قال الأستاذ الامام

لأحد ان يزعم انه عاجز عن القيام بفرص الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الاطلاق لأنه لا يوجد أحد يزعم المعجز من جميع الوجوه الا أن يكون قد بلغ من المعجز غاية لا يبلغها الحيوان الاعجم

غير انه يجب على العلماء ومن يتشبه بهم ان يتعلموا من وسائل انقيام بالواجب ما تدعو اليه الحال على حسب الازمان واختلاف أحوال الامم وأول ما يجب عليهم في ذلك ان يتعلموا التاريخ الصحيح وعلم تكوين الامم وارتقاعها وانحطاطها وعلم الاخلاق وأحوال النفس وعلم الحس والوجدان ونحو ذلك مما لا بد منه في معرفة مداخل الباطل الى القلوب ومعرفة طرق التوفيق بين العقل والحق وسبل التقريب بين اللذة والمنفعة الدنيوية والاخروية ووسائل استمالة النفوس عن جانب الشر الى جانب الخير. فان لم يحصلوا علم ذلك كله فوزر العاهة عليهم ولا تفهمهم دعوى المعجز فانهم ينفقون من أزمانهم في اقبال وانقال ، والبحث في الألفاظ والاقوال ، ما كان يكفيهم ان يكونوا بحار علم ، وأعلام هدي ورشد ، فليطلبوا الصلح من سبله التي قام عليها السلف الصالح والله كفييل ان يمددهم بموته . اما وقد انقطعوا الى ما يعجزهم من القيام بأمره فلن يقبل الله لهم عذرا بل فليتبصوا حتى يأتي الله بأمره

لو قضى الزمان بأن يكون من وسائل التمكين من الامر بالمعروف والنهي

والنهي عن المنكر واشغال الناس بالحق عن الباطل وبالطيب عن الخبيث أن يضرب الانسان في الارض ، ويمسحها في الطول والمرض ، وأن يتعلم اللغات الاجنبية ليقف على ما فيها مما ينفعه فيستعمله ، وما يخشى ضرره على قومه فيدفعه ، لوجب على أهل العلم ان يأخذوا من ذلك بما يستطيعون ،

وإهم في سلف الأمة من القرن الأول الى نهاية القرن الرابع من الهجرة
أحسن أسوة، وأفضل قدوة، وكل ما يبونون به على أنفسهم مما يخالف
ذلك فانما هي وساوس الشيطان، يشغلهم بها عن النظر في معاني القرآن،
ويحرمهم من التعرض لرحمة الرحمن،

بقيت مسألة كثر السؤال عنها، والإلحاح علي في التعرض لها، كما ذهبت
الى مكان وجدت لها حاملا، لا يلبث أن يتوجه الي سائلها، وهي مسألة
الاختيار والكسب، ونسبة الافعال الاختيارية الى العبد أو الى خالق العبد،
ولا أنكر ان هذه المسألة كانت من أعظم المسائل خطرا على الاسلام
والمسلمين ولكن كان في مرور الزمان وتتابع الحوادث ما يهدي الناس الى
وجه الحق فيها ويرشدهم الى ان يرجعوا الى كتاب ربهم وهدى نبيهم
نزوع لنفوس الى الخوض في هذه المسألة ضرب من ضغف الصبر
أوفقده . الوجدان يشهد والحس يشاهد أن الذي يرفع يده بالسيف
ويضرب آخر فينته هو الذي ضربه ويقول الرائي والمخبر: إن فلانا قاتل
فلانا أو ضربه أو اعتدى عليه: فنسبة الافعال الى من صدرت عنه من
المباد مما لا يحتاج الى بحث ولا نظر. ثم جاء القرآن يقول « بما كنتم تعملون »
« وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » وغير ذلك من الآيات
حتى قال في الآية التي يتحدثون بها « وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ » فلو سلم ان
المراد مما تعملون العمل نفسه فقد نسب العمل اليهم وقامت أحكام الشريعة
جميعا على هذا الاصل . و لو كان فعل العبد ليس له لبطل تكليفه به إذ لا يعقل
ان يدعى شخص الى ما لا يقدر عليه، وان يكاف بما لا اثر لرادته فيه، ولو كان
فعل القاتل ليس له لا تمتنع القصاص ولم تكن فيه لنا حياة . فالعقل والشرع

والحس والوجدان متضافرة على ان فعل العبد فعلاه . وكون جميع الاشياء راجعة الى الله تعالى ووجود الممكنات إنما هو نسبتها اليه ولا يتصور اعتبارها موجودة الا اذا اعتبرت مستندة اليه - مما قام عليه الدليل بل كاد يصل الى البداهة كذلك . ومثل هذا يقال في عظم قدرة الله تعالى وانه ان شاء سلطنا من القدرة والاختيار ما وهبنا فهو أمر نشاهده كل يوم ، ندبر شيئاً ثم يأتي من الموانع من تحقيقه ما لم يكن في الحسبان ، وتتناول عملاً ثم تنقطع قدرتنا عن تسميته ، كل ذلك لانزاع فيه ، شمول علم الله لما كان ولما يكون قام عليه الدليل ولا شبهة فيه عند المليين ، فوجب على المسلم ان يعتقد بأن الله خالق كل شيء على النحو الذي يعلمه وان يقر بنسبة عمله اليه كما هو بديهي عنده ، ويعمل بما أمره به ويحجب عنها باستعمال ذلك الاختيار الذي يجده من نفسه ، وليس عليه بعد ذلك ان يرفع بصره الى ما وراءه فقد نعى الله على المشركين قولهم « أَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ » ووردت الاحاديث متواترة المعنى في النهي عن الخوض في انقدر وسره

فتو صبر العبد حتى الصبر اوقف عند ما حدّ الله له ولم ينزع بنفسه الى تمدي حدود الله التي ضربها لعباده . ولست أحب التكلم في هذه المسألة بأكثر من هذا والاخرجت من الصابرين ، وخصت في القدر مع الخائضين ، ومن ثار به الهوس فتوهم ان علينا ان نعتقد ان العبد لا فعل له فقد خالف كتاب الله ، وعصى رسول الله ، وقد أقول - واعتمادى على الله فيما أقول - : ان من يقول ذلك يخرج عن دين الله ، ويمطل شرع الله ، فليحذر مؤمن بالله ان يقول ذلك ، واسأل الله ان يرشدنا جميعاً الى ما فيه صلاح

أنفسنا وان يوقفنا للتواصي بالحق والتواصي بالصبر بفضله وكرمه
 قد يمر بخاطر سائل ان يسأل : اذا كان هذا الذي ذكر في هذه
 السورة هو حكم طبيعة الانسان في كل فرد من أفراد المكلفين منه وان
 من ام يكن على هذه الصفات فهو خاسر ضربا من الخسران في الدنيا أو في
 الآخرة أو فيهما وان من أخذ باخط الاوفر منها نجا من ذلك الخسران
 فما بالناس ترى من غير المؤمنين من يتمتع بالسعادة في هذه الدنيا أما وأفرادا ،
 و ترى من المؤمنين من يغمره الشقاء أما وآحادا ، وإذا شئت مثلا لذلك
 فانظر الى حال اليابانيين وهم وثنيون أو حال بعض الامم الاوربية التي لا يعتقد
 الكثير من أفرادها بالله ولا برسله وقارن بينهم وبين الأمم المؤمنة
 كالمسلمين مثلا:

فندفع عنه هذا الخاطر بأن ما يراه في بعض الامم من ظاهر السعادة
 ليس الا لمعان السراب حتى اذا جاءه وحقق أمره لم يجده شيئا. قال ما كس
 نوردو في كتابه المسمى (الا كاذيب العرفية لتمدتنا) ما معناه: « ان الناس
 كانوا ولم يزالوا يطلبون الحق ولم يكونوا في زمان أبعد عنه منهم في هذا
 الزمان » ثم قال ما ترجمته « إنك لو طرقت أي باب تسأل: هل مرت السعادة
 بهذا البيت ؟ لا جابك مجيب : اذا شئت فاطرق بابا آخر فان السعادة لم
 تمر بييتنا » وهو يقول ذلك بعد ان ذكر ما عليه حال الامم الاوربية جميعها
 ونسبته من السعادة والشقاء و بعد ان أجمل من وصف أحوالهم والمصائب
 التي تتوقع لهم والآلام الشاغلة لقلوبهم أجمعين ما يرحمهم لأجله المقصرون
 عنهم: ويزهد الراغبين في مثل حالهم، ويصددهم عن اقتناء آثارهم، وبين سبب
 ذلك وانه بعدهم عن الحق ونزوع أنفسهم الى الباطل وبقدم الصبر في طلب

المال وهو رواتهم خلف داعي الشهوة لا يصونون له أمراً، ولا يخالفون له إشارة،
ومذنباً ذلك خلوا نفوسهم من الركون إلى الإله الواحد خالق الجميع ورازق
الاحياء ومقدر الاسباب لمكاسبهم على حسب ما وهبهم من القوى والقدر.
ولو اطلعت على ما أخذ اليابانيين من ذلك ومما تألم له نفوسهم من الاوهام
الوثنية التي ما اتصلت بروح الا أفقدتها السكينة وأوجدتها الاضطراب
صعب عليك ان تحكم بأنهم سعداء فاذا كان لهم شيء من السعادة فهو
ببركة التواصي بالصبر أو عمل بعض الصالحات التي جعلها الله عماداً للسعادة
في هذه الحياة الدنيا كالامانة والصدق وارتجاع الهمة والأخذ بالحق فيها
يفع الشأن ويكسب العزوة.

أما حال المؤمنين - ان كانوا - فهو لا يخالف الحكم الوارد في الآيات
الذكرية فانا لا نغمي ولا يغمي عاقل بالسعادة وفرحة المال ورفه العيش في ظاهر
الامر وان كانت النفوس قلقة، والضماير محترقة، ولكن السعادة تكون
النفوس وراحة الضماير، واطمئنان السرائر، والرضى الحقيقي بما وصل إلى
اليدين، والسعي المقارب إلى الرغبة من سبلها المعروفة، مع المعرفة بتلك السبل،
والاعتماد على الهادي إليها، ولا أشك في انك تجد هذه الطمأنينة عند
المؤمن بالأماني الذي قدمنا في أي أرض وجد، وفي أي أمة ولد، وأما
المثل الذي ضربته وهو جملة المسلمين فإني أقول لك ولا أخشى لوم لائم
إن من كان مؤمناً وعمل الصالح وقام بفريضة التواصي بالحق والتواصي
بالصبر فهو راض عن نفسه، راض عن ربه، سعيد وان كان بين الاشقياء،
حكيم وان وجد بين السفهاء، لا يعرف الشقاء الا بما ينعكس إليه من صورته
في نفوس غيره، وأما البقية فان كانوا خاسرين فيخسر انهم جاءهم من فقد

الاركان الاربعة. أما الايمان فلأنهم أخذوه أسماء، واكتفوا به علما ورسما، ورثوا عن الآباء والامهات، صورا وعبادات، ومثل عبادات، لا يحسبوا بصدرهم شي من معنائها، وأوغرهم حمية على التوحيد أملاً هم من الاشرار تحت أسماء اخترعها، وألقاب اختلقها، كالوسيلة والواسطة وما يشبه ذلك مما ينزل به الله سلطانا وأما العمل الصالح فكيف يجتمع مع الحسد والمداوة والكبرياء والجهل والكسل ونحو ذلك مما تراه في عامتهم، والأغلب من خاصتهم، وأما التواصي بالاتي والتواصي بالصبر فلم يبق له أثر بينهم. يرون ما يرون من المنكرات، ويمحسون بما يحسون من فاسد الاعتقاد، وكل منهم ساكت عما يرى ويحس من الآخر كأنه لا صلة بينهما في الدين، وكأن لم يرد في دينهم ما يدعوهم الى التناصح، ولو أن واحداً منهم نصح للآخر لقامت عليه قيامته، ووظنه محتمراً انزاته، غامطاً لحته، وكيف لا يخسر قوم هذا شأنهم،؟؟ فلو أنهم رجعوا الى دينهم، وأقاموا في أنفسهم هذه الاصول الاربعة لرأيتهم وقد وفاهم الله وعده في قوله « وَتَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَآيُمْكِنُّ إِلَهُهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا » وخرجوا من حكم الوعيد الذي اندرهم الله به من قبل في قوله « وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » . « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يَفِيروا مَا بَانَفْسِهِمْ » والله أعلم



﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع وينبع

(٢٧) واحتجوا بقولهم في استحباب مساوقة الامام بقوله صلى الله عليه وآله وسلم
« انما جعل الامام ليؤتم به » قالوا والاثمام به يقتضي ان يفعل مثل فعله سواء ثم خالفوا
الحديث فيما دل عليه فإن فيه « فاذا كبر فكبر واذا ركع فاركعوا واذا قال سمع الله
من حمده فقولوا ربنا ولك الحمد واذا صلى جالسا فجلوسا أجمعون ، »

(٢٨) واحتجوا على ان الفاتحة لاتتمين في الصلاة بحديث النبي في صلاته حيث
قال له « اقرأ ما تيسر معك من القرآن » وخالفوه فيما دل عليه صريحا في قوله « ثم
اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا »
وقوله « ارجع فصل فانك لم تصل » فقالوا من ترك الطمأنينة فقد صلى وليس الامر
بها فرضا لازما مع ان الامر بها وبالقرأة سواء في الحديث

(٢٩) واحتجوا على اسقاط جاسة الاستراحة بحديث أبي حميد حيث لم يذكرها
فيه وخالفوه في نفس ما دل عليه من رفع اليدين عند الركوع والرفع منه .

(٣٠) واحتجوا على اسقاط فرض الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم
والسلام في الصلاة بحديث ابن مسعود « فاذا قلت ذلك فقد تمت صلاتك » ثم خالفوه
في نفس ما دل عليه فقالوا صلاته تامة قال ذلك أو لم يقله .

(٣١) واحتجوا على جواز الكلام والامام على المنبر يوم الجمعة بقوله صلى الله
عليه وآله وسلم للداخل « أصليت يا نلان قبل ان تجلس » قال لا قال « قم فاركع ركعتين »
وخالفوه في نفس ما دل عليه فقالوا من دخل والامام يخطب جلس ولم يصل .

(٣٢) واحتجوا على كراهية رفع اليدين في الصلاة بقوله صلى الله عليه وآله
وسلم « ما باهم رافعي ايديهم كأنها أذناب خيل شمس » ثم خالفوه في نفس ما دل عليه
فان فيه « انما يكفي أحدكم ان يسلم على أخيه من عن يمينه وشماله السلام عليكم ورحمة
الله » فقالوا لا يحتاج الى ذلك ويكفيه غيره من كل مناف للصلاة

(٣٣) واحتجوا في استخلاف الامام اذا أحدث بطبر الصحيح ان رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم خرج وأبو بكر يهني بالناس فتأخر أبو بكر وتقدم النبي صلى
الله عليه وآله وسلم فحلى بالناس ثم خالفوه في نفس ما دل عليه فقالوا من فعل مثل

ذلك بطلت صلاته وأبطلوا صلاة من فعل مثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر ومن حضر من الصحابة فاحتجوا بالحديث فيما لم يدل عليه وأبطلوا العمل به في نفس مادل عليه .

(٣٤) واحتجوا لقولهم ان الامام اذا صلى جالسا لمرض صلى المأمومون خلفه قياماً بالخبر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه خرج فوجد أبا بكر يصلي بالناس قائماً فتقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجلس وصلى بالناس وتأخر أبو بكر ثم خالفوا الحديث في نفس مادل عليه وقالوا ان تأخر الامام لغير حدث وتقديم الآخر بطلت صلاة الامامين وصلاة جميع المأمومين .

(٣٥) واحتجوا على بطلان صوم من أكل يظنه ليلاً فبان نهاراً بقوله صلى الله عليه وآله وسيد « ان بالألأ يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » ثم خالفوا الحديث في نفس مادل عليه فقالوا لا يجوز الاذان للفجر بالليل لافي رمضان ولا في غيره ثم خالفوه من وجه آخر فان في نفس الحديث « وكان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت » وعندهم من اكل في ذلك الوقت بطل صومه (٣٦) واحتجوا على المنع من استقبال القبلة واستدبارها بالفائط بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا تستقبلوا القبلة بفائط ولا بول ولا تستدبروها » وخالفوا الحديث نفسه وجوزوا استقبالها واستدبارها بالبوا .

(٣٧) واحتجوا على شرط الصوم في الاعتكاف بالحديث الصحيح عن عمر انه نذر في الجاهلية ان يعتكف ليلة في المسجد الحرام فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يوفي بنذره وهم لا يقولون بالحديث فان عندهم ان نذر الكافر لا يعتقه ولا يلزم الوفاء به بعد الاسلام

(٣٨) واحتجوا على الرد بحديث تحوز المرأة ثلاث موارث عتيقها ولقيطها وولدها التي لا عنت عليه ولم يقولوا بالحديث في حيازتها مال لقيطها وقد قال به عمر ابن الخطاب و اسحاق بن راهويه وهو الصواب

(٣٩) واحتجوا في توريث ذوي الارحام بالخبر الذي فيه « التمسوا له وارثاً او ذارحم . فلم يجدوا فقتال « أعطوه الكبير (١) من خزاعة » فلم يقولوا به في ان من لا وارث

(١) اكبر القوم بضم فسكونا كبرهم وأقدمهم في النسب وأكبرهم

(٤٠) واحتجوا في منع القاتل ميراث المقتول بنجر عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « لا يرث قاتل ولا يقتل مؤمن بكافر » فقالوا بأول الحديث دون آخره .

(٤١) واحتجوا على جواز التيمم في الحضر مع وجود الماء للجنازة إذا خاف فوتها بحديث أبي جهيم بن الحرث في تيمم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لرد السلام ثم خالفوه فيما دل عليه في موضعين أحدهما أنه تيمم بوجهه وكفيه دون ذراعيه والثاني أنهم لم يكرهوا رد السلام للمحدث ولم يستحبوا التيمم لرد السلام

(٤٢) واحتجوا في جواز الاقتصار في الاستنجاء على حجر بن محمد بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذهب لحاجته وقال له اتني بأحجار فأناه بحجرين وروثة فأخذنا الحجريين والقي الروثة وقال « هذه ركس » ثم خالفوه فيما هو نص فيه فأجزوا الاستجمار بالروث واستدلوا به على ما لا يدل عليه من الاكتفاء بحجرين .

(٤٣) واحتجوا على أن مس المرأة لا ينقض الوضوء بصلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حاملاً أمامة بنت الماص بن الربيع إذا قام حملها أو أذا ركع أو سجد وضعا ثم قالوا من صلى كذا بطت صلاته وصلاة من أتم به قال بعض أهل العلم ومن العجب إبطالهم هذه الصلاة وتصحيحهم الصلاة بقراءة مدهامتان بالفارسية ثم ركع قدر نفس ثم رفع قدر حد السيف أو لا يرفع بل يخر كفه أو لا يضع على الأرض يديه ولا رجله وإن أمكن أن لا يضع ركبتيه صح ذلك ولا جبهته بل يكفيه وضع رأس انفه كقدر نفس واحد ثم يجلس مقدار التشهد ثم يفعل فملاينا في الصلاة من فساه أو ضراط أو ضحك أو نحو ذلك .

(٤٤) واحتجوا على تحريم وطء المسبية والملكوة قبل الاستبراء بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تستبرئ بجحيضة » ثم خالفوا صريحه فقالوا إن اعتقها وزوجها وقد وطئها البارحة حل للزوج أن يطأها الليلة .

(٤٥) واحتجوا في ثبوت الحضانة للمخالة بنجر بنت حمزة وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى بها لحالتها ثم خالفوه فقالوا لو تزوجت الحائلة بغير محرم لبنت فإن صمها سقطت حضانتها .

(٤٦) واحتجوا على المنع من التفريق بين الأخوين بحديث علي في نهبه عن

التفريق بينهما ثم خالفوه فقالوا لا يرد المبيع اذا وقع كذلك وفي الحديث الامر برده.

(٤٧) واحتجوا على جريان القصاص بين المسلم والذي بحجر روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اقاد يهوديا من مسلم لطمه ثم خالفوه فقالوا الاقود في اللطمة والضربة لابين مسلمين ولا بين مسلم وكافر .

(٤٨) واحتجوا على انه لا قصاص بين العبد وسيدته بقوله صلى الله عليه وآله وسلم من لطم عبده فهو حرة ثم خالفوه فقالوا لا يمتق بذلك .

(٤٩) واحتجوا أيضا بالحديث الذي فيه « من مثل بعبده عتق عليه » فقالوا لم يوجب عليه القود ثم قالوا لا يمتق عليه .

(٥٠) واحتجوا بحديث عمرو بن شعيب « في العين نصف الدية » ثم خالفوه في عدة مواضع منها قوله: وفي العين القائمة السادة لموضعها ثلث الدية: ومنها قوله: في السن السوداء ثلث الدية .

(٥١) واحتجوا على جواز تفضيل بعض الاولاد على بعض بحديث التمامان ابن بنبر وفيه « أشهد على هذا غيري » ثم خالفوه صريحا فان في الحديث نفسه « ان هذا لا يصحح » وفي لفظ « أني لأشهد على جور » فقالوا بل هذا يصحح وليس بجور ولكل احد ان يشهد عليه

(٥٢) واحتجوا على ان النجاسة تزول بغير الماء من المائعات بحديث « اذا وطأ أحدكم الاذى بنمليه فان التراب طما طهور » ثم خالفوه فقالوا لو وطأ الصدره بنمليه لم يطهرها التراب .

(٥٣) واحتجوا على جواز المسح على الخبيرة بحديث صاحب الشجة ثم خالفوه صريحا فقالوا لا يجمع بين الماء والتراب بل اما ان يقتصر على غسل الصحيح ان كان أكثر ولا يتيمم وأما ان يقتصر على التيمم ان كان الجرح أكثر ولا يغسل الصحيح .

(٥٤) واحتجوا على جواز تولية امرأه أو حكام أو متولين مرتين واحدا بعد واحد بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أميركم زيد فان قتل فبذله بن رواحة فان قتل فحفر » ثم خالفوا الحديث نفسه فقالوا لا يصح تعليق الولاية بالشرط ونحن نشهد بالله ان هذه الولاية أصح ولا ية على وجه الارض وانها أصح من كل ولاياتهم من اولها الى آخرها

اهداء (٥٥) واحتجوا على تضمين المتلف ما تلفه ويملك هو ما تلفه بحديث القصة التي كسرتها إحدى أمهات المؤمنين فرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على صاحب القصة نظيرها ثم خالفوه جهاراً فقالوا إنما يضمن بالدرهم والدنانير ولا يضمن بالمثل. (٥٦) واحتجوا على ذلك أيضاً بخبر الشاة التي ذبحت بغير إذن صاحبها وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يردّها على صاحبها ثم خالفوه صريحاً فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يملكها الذابح بل أمر باطعامها الأسارى.

(٥٧) واحتجوا في سقوط القطع بسرقة الفواكه وما يسرع اليه الفساد بخبر « لا قطع في ثمر ولو كثر » ثم خالفوا الحديث نفسه في عدة مواضع أحدها ان فيه « فاذا آواه الى الجرين ففيه القطع » وعندهم لا قطع فيه آواه الى الجرين أو لم يؤوه. الثاني انه قال « اذا بلغ ثمن الحن » وفي الصحيح ان ثمن الحن كان ثلاثة دراهم وعندهم لا يقطع في هذا القدر. الثالث أنهم قالوا ليس الجرين حرزاً فلو سرق منه ثمر يايساً ولم يكن هناك حافظ لم يقطع

باب التبرير والتعمير

درس عام في التعاليم الاسلامي

أوخطاب القاه الاستاذ الامام في تونس على ملا عظيمة من الدماء والفضلاء وحسنه جديدة الحاضرة التونسية البراء ونحن نقول عنها كما نقل المورث والتمرات مع مسمى من فاصح لسان الامام ان بعض اخواننا الذين عرفناهم في تونس قد طابوا من الفقير مسامرة أو محاورة وربما كان ذلك اصطلاحاً عندهم ثم قالوا درساً فسألني بعضهم عن ذلك فقلت نعم هو درس ولكن لا تظنوا انه درس في تحقيق مسألة عامة فان عندهم من جهة العلماء من اعترف بفضلهم فمن أراد تحقيق مسألة عامة فابراجهم أما هذا الفقير فرجل سائح قصدت هذه الدبار للتعرف ببعض الساميين والنظر في أحوالهم وأمور دينهم من حيث العلم والتعاليم ولذلك لما أحبت طابهم في افراء الدرس ما قصدت اقراء درس حقيقي ولكن التكلم فيما يحتاج يفكري من أصم التعاليم والاعراب عما في ضميري مساً

أثناه لآخواننا المسلمين من التقدم في العلم . وقد رأيت في بلاد الاسلام التي سعت فيها عدة أناس يشتغلون بالعلم ولكني وجدت عند الاغلب اشتباها في ماهو العلم الذي ينتق الوقت في تحصيله . هذا فيما يخص الامر المهم الذي أكرره لكم ولا زلت أكرره من أهمية التعليم حتى ينتج ذلك التكرار ما تنمناه من التقدم . اذ ان الناس في حاجة الى التكرار ثم ان هناك مسألة مشتركة بيننا وبينكم عامة في سائر بلاد الاسلام وهي مسألة الرضا بالموجود ولها تماق أيضا بالتماسيم . فاذا ذكرت تقصا أو عيباً في طريقة أو في حالة من الاحوال قيل لك ماذا نصنع ونحن أناس متوكلون على الله وهذا مراد الله من عباده ، وهو عذر المقصر عند تقصيره في بلاد الاسلام وعون على ما نراه من النقص في طرق تحصيل العلم . ولذلك أردت ضمه الى بحث التعليم

(معنى العلم)

أما الكلام في معنى العلم فليس الغرض منه الخوض فيما اصطلح عليه علماء السلف الصالح أو غيرهم من المتكلمين أو الفلاسفة أو غيرهم حتى من الزنادقة . لان هذه ألفاظ اصطلاحية طالما شغلت أهل العلم بتغيرها والاخذ والرد في معانيها . مع ان واضعها انما حددوا بها المعاني حتى تضبط ويسهل تناولها والوصول اليها . ولكن يصح ان يقال فينا وفيهم انهم أرادوا خيراً فاستعملنا شراً . ولذلك أترك الالفاظ الاصطلاحية وأتكلم في معنى العلم من حيث هو معروف في الكتاب والسنة وسير السلف الصالح وعلى لسان العامة والخاصة

العلم جاء ذكره في قوله تعالى «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» الآية وهو استفهام انكاري معناه انه لا يستوي عالم وجاهل . وقال تعالى «هل تستوي الظلمات والنور» أي ان الظلمة لا تساوي النور فبين لنا تعالى ان الظلمة مثال لحال من لا يعلم وان النور مثال لحال من يعلم . فبين من ذلك ان عدم العلم يشبه الظلمة ونحن نعلم ما يكون من الانسان اذا اشتد به الغلام وهو سائر في طريق يقصد غاية معلومة فان الغلام يعمي عييه الطريق وربما سلك طريقاً يبعده عن مقصده . وقد يصادف مهواة فيسقط فيها فتدركه هلكته قبل الوصول الى غايته

وهذه حال الجاهل بوسائل أي غاية من الغايات التي يعرض للانسان قصدها في

حياته فكل من طلب غاية في حياته بدون علم لا يصل اليها . وحينئذ فيؤخذ من هذه الآية الكريمة ان الله تعالى بين لنا ان العلم للانسان كالنور لا بمعنى ان العلم سراج أو مصباح وإنما ذلك مثل حال من يعلم الطريق الموصلة له الى مطلبه والوسائل المؤدية اليه . فان حاله يشبه من يمشي وبين يديه نور يبين له السبيل ويكشف له ما فيه من الموانع فيتجنبها أو يذللها حتى ينتهي الى غايته ظافراً بعاقبته وسلامته . لان الآيات والاعلام المنصوبة لا يراها المغمور بالظلام وإنما يراها المبصر بالضياء وانور ولما كان العلم ضوءاً يهدي الى الخير في الاعتقاد والعمل كان أول منازل علي النبي الامي الذي لا يقرأ ولا يكتب قوله تعالى «اقرأ باسم ربك الذي خلق» خلق الانسان من علق» الآية . فافتتح الله الوحي بتعليم القراءة والقراءة تعلم . وجاء في الحديث الشريف انه قال في أول مرة « ما أنا بقاري » وما زال الملك به حتى قرأ الآيات .

ثم بعد أن أمر تعالى بالقراءة من لا يقرأ عادة وبين له ان الذي يأمره بالقراءة هو الذي خلق الخلق كله وهو قادر على أن يقرئه بعد أن لم يكن قارئاً وانه الذي خلق الانسان الحي الناطق المنصوح عما في نفسه من علق أي دم منجمد لاعقل فيه ولا نطق فهو قادر على أن ينشئ فيه القراءة والعلم وان لم يسبق له تعلم بعد ان ذكر هذا قال «اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » . نخص من العلم العلم بالقلم والكتابة تنويرها بشأن التحرير والبيان وتنبيهها على عظم فائدته وهو انما يكون بعلم اللسان والبراعة فيه . لا يريد من العلم تصور القواعد وإنما يريد منه ملكة الافصاح والبيان وكون المراد منه هذا أمر بيدي اذ لولا الكتابة لما وصلنا الى درجة من الدرجات التي نراها . فافتتح الله تعالى الوحي بطلب العلم واتناء عليه سبحانه بأنه هو الذي علمه ووجهه الانسان ارشاد الى فضل العلم وحث على تحصيله خصوصاً العلم بالقلم

فأمر ما يبصر الانسان في الغاية التي يطلبها ويهديه الى الحق الذي هو معقد النجاة قال تعالى «ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السننكم وألوانكم ان في ذلك آيات لاهل عين» وم يقل للجاهلين أو المنافقين . فاذا كان للعلم هذه المنزلة فلا يجب أن يكون العلم الممثل له بالنور الا علم ارشاد وتبيين . ثم جاء في الحديث

والادعية الماثورة قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم انقضي بما علمتني وعادني ما ينفعني وزدني علما » (١) كانه يقول اللهم اجعل علمي عاما صحيحا ينطبق على ما يتنه في كتابك ويروي انه قال « اذا أتى ثلثي يوم لأزداد فيه علما فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » (٢) ثم اننا نجد في الآثار وأقوال العلماء غير ذلك ما يضول ذكره كما تجدون فيما يدور على ألسنة الناس عند ذكر العلم ما يرشد الى أنهم لا يفهمون من العلم الامعنى التبصر في أي أمر من الامور والآيات به على الوجه الاكمل بقدر الاستطاعة. فبين من ذلك اذا ان معنى العلم الحقيقي الذي أثنى الله عليه وميز به المهتمدين من الضالين هو الكشف عن الامر الحقيقي بحيث اذا اراد ان يملك عنه ميل لا يقدر على ذلك كمن عرف طريقا موصلة الى غاية فلا يعدل عنها مهما حوّل مضاه . فلا يكون العلم حقيقيا ولا تنبث النفس الى تحصيله الا اذا كان كذلك بالنسبة الى الغاية المطلوبة منه . فاذا وجدنا من العلم ما يوصلنا الى البصيرة بما نقصد من الغاية في مدة قصيرة كيومين مثلا ورأينا ماسمي علما ولكنه انما يوصلنا في مدة أطول كاربعة أيام مثلا كان لنا ان نجد الاول علما حقيقيا لانه أرشدنا الى أقرب طريق مؤدية الى الغاية وان نعد الثاني غير علم لانه عاقنا عنها وأوجد لنا العثار فيها فالمدول اليه سقوط في الضلة وأولى بأن يسمي ضلة علم يقصد بتحصيله غاية ثم هو لا يؤدي الى تلك الغاية بالمرّة بعد اتفاق الزمن الطويل في تحصيله . فتسميته علما من الخطأ الذي لا يتفق مع ما جاء في الآيات الكريمة والأحاديث انشريفية واستعمال الخاصة والعامة . ولكن من الناس من يقول لك العلم يطلق باطلاقات ثلاثة - الإدراك والقواعد والمملكة . فتحصيل القواعد وان لم تحصل المملكة يسمى علما على الحقيقية فاشتغالنا بتحصيله اشتغال بتحصيل العلم . غير ان هذا القائل لم يراع ماذا قصد المسمى للقواعد علما فانه لم يضع لها هذا الاسم الا لانها توصل الى الغاية في رأيه . فاذا استعملت لغير الغاية فقدت معناها وعدت من الشواغل عن العلم المطلوب . فان شاء سمي هذه الشواغل جهلا لانها ضلت عن العلم وان شاء فليسها علما كما يهوى لا كما يعرف الناس

(١) المنار: رواه الترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة (٢) رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية وابن عبد البر في العلم من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن عائشة وقد ضمنوا

في سنده ولذلك قال الاستاذ (ويروي)

(رد على المقتطف)

نقل المقتطف الاغر المقالة التي صكبتها في الجزء الثالث عشر تحت عنوان (شكوى الامهات . من تربية البنات) واستحسن محرره الفاضل ما كتبناه في التربية العقلية وكون العقل المستير يقوى أخيراً ويكون من وراء قوته الإصلاح المطلوب . وأنكر قولنا « ان العلم الذي يعلم في المدارس المصرية لا يتصد به الى اصلاح النفوس وارتقاؤها وجعل المصريين سعداء أعزاء» وقال ان هذا خطأ على ما يعلم - وباليقين : على ما نظن : فانه يظن ظناً وما هو بمستيقن - وعلل علمه بقوله : « لان نظار المدارس ومعلميها يشفقون بالتعليم والتهذيب شفقة حتى يتفانوا في تعاليم التسلامدة وتهذيبهم كما يشفق كل عامل بعلمه وهذا تعلمه بالخبر مدة تعلمنا في المدارس الاجنبية نحن ونساؤنا ومدة مشاركتنا لهم في التعليم . فالوصمة التي وصمهم بها جائزة جدا ولو اختبر اختبارنا لقال قولنا . ولا نقول ان ذلك يعم كل النظار وكل المدرسين ولكنه شامل لاكثرهم ، ولا شبهة عندنا ان أثر المدارس المصرية وضية كانت أو أجنبية حسن جدا وأنه لم يظهر حتى الآن ظهوراً باهراً لأنها قليلة بالنسبة الى اتساع البلاد ولأن النجاح لا يظهر جلياً لمن يراقبه عن قرب ويرى تدرجه البطيئ ولكن لو قابل حضرته حال هذه البلاد العلمية والادبية الآن بمجالها منذ عشرين سنة نراى بين الخالين يوناشاسما ورآها الآن أرقى مما كانت كثيراً وسيزيد هذا الارتقاء في العشرين سنة التالية أضعاف مازاد في العشرين سنة الماضية » : هذه عبارة المقتطف بنصها

يقراً القارئ في بعض الاحيان شيئاً فيعاق بذهنه شيء يحمل منه فينكره غافلاً عن التفصيل الذي لامذهب معه لانكار ثم يستدل على انكاره بما لا دلالة فيه أو بما فيه الحججة عليه ويمثل هذا وقع صاحب المقتطف في تفسيرا دعوى القارئ من انه يهد فيه من التحري في النقد

لم يكن الكلام في مقالتنا تلك مبيناً على الظن في معنى المدارس المصرية والتي نظارها فبرد علينا بدعوى تفانيهم في التعليم والتهذيب . ولم يكن أكثر منا اختياراً لهؤلاء المعلمين والنظار فيصح له ان يقول ما قل . وليس قيسه المدرسة الكلية الأمريكية

التي تعلم فيها على المدارس المصرية قياسا صحيحا ، وليس البون الشاسع بين حال البلاد اليوم وحالها منذ عشرين سنة نتيجة حسن التربية والتعليم في المدارس المصرية وكون الغرض منه تربية المصريين على الاستقلال والفضائل والترقي الصوري والمضوي .
واننا نشرح هذه المسائل بمض الشرح ققول :

تبين من امتحان الشهادة في هذا العام ان مدارس الحكومة أكثر من غيرها نجاحا ومثلها مدرسة خليل أغا ومدرسة أم عباس وأن المدارس الاجنبية أقل المدارس نجاحا ومعظم تقصيرها في اللغة العربية وعلومها لان مرسلي الامريكان والجزويت والترير والانكليز لا يهتمهم أمر هذه اللغة ولو استطاعوا محوها من بلادها فعملوا وانما يهتمهم نشر مذاهبهم الدينية ولغاتهم الانجليزية وليس في هذا اصلاح لنفوس المصريين الذين دين اكثرهم الاسلام ولغة جميعهم العربية وانما تم سعادة الامم بأدابها الدينية ورابطتها اللغوية . وانما يعلمون اللغة العربية في مدارسهم لاجل ان يصيدوا بها الناس ولو أبطلوها لبطت مدارسهم . ثم ان هذه المدارس ليس فيها تعليم عال وما دون التعليم العالي لا يكون رجلا فاذا كان التعليم المطلوب ناقصا والتربية المطلوبة مفقودة من هذه المدارس فهل يعني عن سعادة المصريين شغف معاهي هذه المدارس ونظارها وقوانينهم في نشر دينهم ولغاتهم المقصود بهما افساد دين المصريين وانهم ؟
أما المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت فقد كان التعليم والتربية فيها أفضل ما بعد النصراري للسعادة ولا يقصر عن اقادة المسلمين الذين يدين لهم مدارس عالية في تلك البلاد . وقد كان تعليم العلوم في هذه المدرسة على عهد منشي المقتطف باللغة العربية ثم تحول الآن الى اللغة الانكليزية فقات قائدها لانا الانسان العربي ومع هذا لانزال نقول انها أمثل المدارس في مصر والشام وقد كتبنا في الجزء الماضي نبذة مخصوصة في تفضيلها وما أعوزنا ذلك لحبر كخبير محرر المقتطف الذي تعلم وعلم فيها وهو عندنا في علمه وأدبه من آيات تفضيلها

أما مدارس الحكومة التي هي أحسن المدارس في مصر فقد صرح المختلون الذي يديرونها كما يشاءون لا كما يشاء النظار والمدرسون الذين يقيمونهم فيها - بأن الغرض منها إيجاد نفر يخدمون الحكومة ولا يخفى على ذي بصر أن من يعلم إنسانا

ليخدمه إنما يعلمه ما يبينه على تسخيره في خدمته ، وتصريفه بمقتضى إرادته ، لا يكون مستقلا في نفسه ، متفانيا في حب أمته ووطنه ، وهب ان المحتاين لا غرض لهم من البلاد المصرية الأرقيتها واعانتها على كمال الاستقلال لتستفي عنهم وعن غيرهم فهل يقول عاقل ان من المصلحة ان يكون التعليم خاصا باعداد المعلمين لخدمة الحكومة فقط ؟ ؟

تعميم التعليم واجب فلو كانت فائدة التعليم هي خدمة الحكومة كما ترضى لوجب ان نعد أفراد الأمة كلهم لان يكونوا مستخدمين في الحكومة واذا كان جميع الافراد حكاما فمن يكون المحكوم ؟ الوظائف الكيرة تتزع من الوطنيين بأيدي المحتاين وما قضت السياسة بابقائه لهم قائما بقاؤه صورة بدون معنى واقب بدون عمل فنظار الحكومة المصرية لا يبرمون ولا ينتضون ولا يجلون ولا يهقدون الا ما يوجه اليهم المستشارون من الانكليز فصار المتعلم المصري يأسا من الاستقلال في أي عمل يعماله للحكومة وانما يكون التعليم لسعادة الأمة وعزتها اذا كان الغرض منه الاستقلال الشخصي والاستقلال القومي وماأظن ان المنتد الفاضل يقول ان المحتاين يقصدون بالتعليم الى الانعام على المصريين بهذا الاستقلال الذي حصرنا فيه السعادة والعزة القومية ولا ينكر علينا عاقل حصرنا هذا . نعم انهم قاموا ببعض الاصلاح ولكن الاجانب يصلحون فيما يستعمرون الاشياء لا الاشخاص

طلب مجلس الشورى في السنة الماضية ان تعرض عليه قوانين التعليم في مدارس الحكومة ونظام التعليم فيها فكبر ذلك على نظارة المعارف وكابرت في إجابة الطلب مكابرة بييدة ودافع ناظر المعارف بما أوحى اليه من أهل الحل والمقد مدافعة الابطال وقد رددنا دفاعه وبيناتنا في مقالات نشرناها في المجلد الخامس اتقدنا فيها قانون التعليم وسيره وبيننا تقصير النظارة بما لا ينفع معه عذر ممتدر . ولو كان تعليم نظارة المعارف يد على الوجه الذي فيه سعادة الأمة وعزتها لما كبر عليها ان يطلع مجلس الأمة على قوانينها الداخلية ولا صفت الى شكوى الأمة من المعارف باسان مجلسها واسان جرائدها لا يوجد في مصر قارئ ولا كاتب ولا محب لسماع الجرائد والوقوف على الاخبار والحوادث الا وهو يعلم ان التعليم في مدارس الحكومة بيد المستر (دناوب) القسيس الانكليزي ولم تبق جريدة وطنية معتبرة في مصر الا وقد ملأت جو هذا القطر صياحا

في الشكوى من سيرة هذا الرجل وانتقاد أعماله في المعارف والمقطم شقيق المقتطف لم يرد فيما نعلم هذه الشكاوي التي ترددها جرائد المسلمين والقبط والسوريين والافرنج مع أنه أنثي لتأييد سياسة المحتلين ذلك لعلمه بأنها في تفصيلها أو جملتها حق لا وجه لردّها .

وإذا كان المنتقد الفاضل يعرف من نظار المدارس الاميرية ومعلميها أكثر مما يعرف كما تفيد عبارته فهو لاشك يعرف أكثر مما نعرف من تبرمهم وشكواهم وشدة انتقادهم وتبرمهم من سير النظارة ومن عيوبها وأعني النظار المصريين وأخص بالذكر منهم معلمي العربية لغة البلاد الرسمية . وكل موظف في المعارف يعرف كيف يعاقب الناظر أو المعلم الذي يثبت لدنلوب أنه انتقدا و اعترض على شيء من سير النظارة السري أو الجهرى وهم يعلمون أن هذا الرجل هو المظلم وحده بهذه النظارة لا بكفاءته ولكن بقوة دولته ثم هم يأسون من قصده الى الاصلاح الحقيقي الذي يربي الامة تربية حقيقية فهم يسكتون واهين، ويهمسون بالشكوى مستخفين، ولأن سئلوا جهر يقولون إننا نحن راضون، وهم عند أنفسهم وعند أكثر الناس معذورون، وقد عيل صبر طائفة من خيارهم فاستقالوا وهم مختارون،

ان الاعمال الكبيرة لا يظهر أثرها في الامم الا بعد الزمن الطويل ولكن أعمال (دنلوب) قد ظهر أثرها في نظارة المعارف في زمن أقرب مما كان ينظر - ظهر أثرها في سقوط مدرستين عاليتين من مدارس الحكومة وهما مدرسة (المهندسخانة) ومدرسة المعلمين التوفيقية وما أحوج البلاد الى المدرستين وهذه نظارة المعارف في أشد الحاجة الى معلمين ولم تكن عنها الاوشاب الذين يجيء بهم دنلوب من بلاده في كل سنة - هذا بعدما أنفى التعليم المجاني وأدخل في التعليم الابتدائي اللغة الاجنبية خلافا لجميع الامم التي حتمت جعله باللغة الالهية ولا تسل عن اندراس رسوم الدين في المدارس وما في ذلك من افساد الآداب وتدنيس الارواح حتى انك ترى بيوت الفسق في الازبكية عامرة بالتلامذة وقلماء ترى احدا منهم في بيوت الله تعالى هذا حال مدارس الحكومة فما بالك بما دونها؟

يقول المقتطف الاغر ان البلاد ارتقت في العشرين سنة الاخيرة بالتعليم حتى فاقت هذه السنين ما قبلها بالرقي فوقا ظاهرا . ونحن نقول ان هذه البلاد تشغل منذ مئة سنة بالتعليم والمدنية فان كان هنا تقدم ظاهر في شيء من الاشياء فهو نتيجة هذا السعي الطويل في مدة قرن كامل ولا تتكرر ان لهذه السنين الاخيرة فضلا في

الحرية والعمران واصلاح الحكومة وأن هذا من حسنات المحتلين ولكننا مع هذا لا نرى فيمن تعلم في هذه السنين الاخيرة رجالا مستقلين نفتخر بعلومهم او بأعمالهم ونستبشر بخدمتهم الامة والبلاد بل نرى خيرا رجال مصر علما وعملا نفرا تربوا وتعلموا قبل أن يتحكم دنلوب في مدارس الحكومة

ثم إننا نرى سيرة أكثر المتعلمين ملطخة بفساد الاخلاق والاختلاط الى الشهوات، والمجاهرة بالنكرات، والاستهانة بما ينسب الى أمتهن من الاخلاق والعادات، ولا حاجة لهم في هذا الا أنه مخالف لعادات المترفين من الاوربيين، فهم بذلك يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي الطامعين، وقد قامت أوروبا وقعت لاقناع انكنا ترا باستبدال المترالفرنسي بالبرد الانكليزي لانه خير منه ولتوحد المقاييس في أوروبا فأبت هذه الدولة التي تعتقد ان عزها وسلطانها بالمحافظة على تقاليد سلفها وعاداتهم أن تغير مقياسها محتجة بأن الامة التي يسهل عليها الخروج من العادات القومية الى عادات الاجانب لا يثبت لها استقلال، ولا يستقيم لها حال، فأين متعلمونا الذين يسارعون في تقليد سفهاء الافرنج في الشهوات، من محافظتهم على هذه الروابط المقومات،؟؟

محرر المقتطف الاغر به تقدما اعتقادنا في نقص التعليم في مصر وكونه غير مؤدالي الغاية منه ولعله نسي اعتقاده عند تخطيطنا. ولا حاجة للاستشهاد على ذلك بأكثر من جواب سؤال له في هذا الجزء الذي اتقدنا فيه نذكره مع السؤال بنصه وهو :

(س) .ه أكثر يتنا عدد المتخرجين من المدارس العالية ولم نسمع ان واحدا منهم قام بامتحان التمضيا العلمية ونتاج النتائج والاستدلالات التي يقف عليها علما وعملا فهل ذلك يعزى لنقص في التعليم أو اهمال من المتخرجين

(ج) يعزى الى الاتنين والى ان الاتهاتذة انفسهم ليسوا من أهل الاشتغال بالمعلم ولو كانوا من أهل الاشتغال به لاقتدى بهم بعض تلامذتهم كما هي الحال في أوروبا وأمريكا وفي بلاد اليابان أيضا اه

وجملة القول اننا ما أنكرنا فائدة التعليم الحاضر بل مرة وانما قلنا ولا نزال نقول بأنه ناقص وغير مقصود به الى سعادة الامة وعزتها وليس معه تربية للاخلاق والفضائل ولا نطلب إبطاله وانما نطلب تمليا كاملا تصحبه تربية صحيحة وان يكونا موجبين الى الاستقلال، وطاب الحال،

شذرة باب الآثار الأدبية

لما قدم الاستاذ الامام من سياحته في هذا العام، هنأه بالقصائد الطنانة جماهير العلماء والادباء في الازهر وغيره ونذكر هذه الايات للشاب الذي زاحم في بدايته أهل النهاية تنشيطاً له على العناية بالأدب وهو الشيخ مصطفى نجل حسن بك عبدالرازق قال :

أقبل عايك تحية وسلام
تطوى البلاد وحيث جئت لامة
كالبدرا آنى سار بشرق نوره
إن يقدر وافي الغرب علمك قدره
فلمصر اولى منهم والشام
فيك الرجاء لامة اعبت بما
لازلت غيظاً للضلال وأهله
ياساهرا والمسلمون نيام
نشرت لفضلك بينهم اعلام
والحق آنى حل فهو امام
فلمصر اولى منهم والشام
يلهي الصفار وجدت الايام
والله يرضى عنك والاسلام

مسيح الهند

عثرت في مسبرها الايام
أهله بين ذي هدى وضلال
وأرانا بمة العمر نشقى
ليس كل الذين تبصر نابياً
ولكل الورى رؤوس فان لم
ايه (ياهند) عن مسيحتك ما زالا
كان في جسمك الوباء فقد دب الى العقل بمد ذاك السقام
ضلة للفتى ومن تبعوه
مسخته الجنان أم مسخته
وأنته الاقوام ترى ولا غر
واذا كان في الرؤوس ضلال
نسيح السيف ذلة ورياه
أيهذا المسيح ان اليباني
في بنيتها من الزمان سهام

(١) جلجل وعزام اسمان من أسماء الشياطين والنسكته ظاهره

وأرى الدهر كالوغي وقديما
فأرفع الأرض فوق قرنيك وأمر
كان بين الأنام هذا الخصام
يملاً الأرض بعد ذلك السلام
أوفعد للسماء ان الشياطين
من عليهم باب السماء حرام
وتحد الورى بسخفك أو سجد
مك ان الكرى له أحلام
لو سألت الجمار حين تراه
في نهيق لقال ذي أحكام
مصطفى صادق الرافعي

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

نصيحة الاستاذ الامام

(لاهل الجزائر وتونس)

من يعرف الاستاذ الامام يعرف ان كل حديثه في جميع أوقاته نصيح وتعليم فجالسه
ومسايره يستفيد علما وحكمة في كل أمر من أمور الدنيا والآخرة ولذلك نعتقه ان
الذين عرفوه واجتمعوا به في رحلته الاخيرة الى الجزائر وتونس قد سمعوا منه نصائح
لا تحصى ولكن النصيحة العامة الشاملة التي كان يشافه بها أهل العلم والدراسة في القطرين هي
(١) الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طرقها القريبة التي أرشد اليها في الخطاب
الذي ألقاه في تونس. و (٢) الجد في الكسب وعمر ان البلاد من الطرق المشروعة الشريفة
مع الاقتصاد في المعيشة. و (٣) مسألة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة. وبهذا الأخير يتم لهم
كل ما يريدون من مساعدة الحكومة الفرنسية لهم على ما قبله فان الحكومات في جميع
الأرض يضيئون على البلاد التي يستعمرونها ماداموا يعتقدون ان أهلها ساخطين عليهم
أو لهم ضلع مع حكومة أخرى. وهذا الأعراض عن السياسة لا ينافي مخاطبة الحكومة فيما
يروونه ضاراً بهم من القوانين والمعاملات فإذا تم اكتشاف ظلامتهم بعد الاتجاه اليها في كشفها
كانوا معذورين اذا سخطوا وترى صوابها الدوائر

والمشهور عند العارفين بالسياسة العامة ان فرنسا تجت دائما عن طريقة يعلمن
بها أهل الجزائر لحكومتهم وتعلمن هي لرضاهم عنها ولا شك ان هي الطريقة تنفع الحاكم
والمحكوم ووعده السير فيها يضر بالحكوم أكثر مما يضر بالحاكم. ونحن نعتقد ان الطريقة
الوحيدة هي حسن المعاملة من فرنسا واعراض الجزائريين والتونسيين عن السياسة الى

العلم الذي ينير العقول، والعمل الذي يشغل عن الفضول، وقد ذكرنا في الجزء الماضي ان الاستاذ الامام انس من الحكومة الفرنسية هناك الميل الى هذه المعاملة وانس من اهالي الجزائر الرجااء الحسن بحاكمهم الجديد (موسيو جوتار) وقد ذكرنا في جزء سابق ان الموسيو (روا) يميل في تونس الى هذا المذهب حتى الله الرجااء واصاح الاحوال بمنه وكرمه

﴿ الخطر في مراکش ﴾

استفحل أمر الخارج على الحكومة المرأ كشيعة وكانت الحرب بينه وبينها سجالات الان الظاهر في جانبه أكثر وقد تبين ان الخارج أو القائم من بيت الملك وهو (مولاي محمد) وان اسم (أبو حمارة) كان لقباً مستعاراً. وقد تو الى انتصار القائم أخيراً ويظن أنه لو أنه هاجم السلطان مرة واحدة لرجح ان يضفر ويقضى الأمر. ولا ريب ان كل حال تنتقل اليها تلك البلاد هي خير من حالها الحاضرة في الفتنة وقبل الفتنة بمئة سنة ونيف فاذا ظفر مولاي محمد فلا بد ان تجسد للبلاد حكومة فيها شيء من القوة والنظام وينتظر ان تكون أمثل من حكومة عبد العزيز على كل حال فان هذا مفتون بالزينة والترف فقد كانت البلاد في النزاع والنزع والدول الأوروبية في التنازع عليها وهو على إملاق حكومته يرسل ذلك الشاب التونسي الذي تقرب منه بما علمه الحبيرون يشتري له من أوروبا ما تصبو اليه نفسه من آلات الزينة وأدواتها وماعونها وأثاثها ويشترى له من الاستانة الولدان والجواري الناعمات الحسان ليتمتع كما يتمتع غيره ممن كان ولا يزال على شاكلته

فتن هذا السلطان بزخرف مدينة أوروبا بوابلته فن بقوتها ونظامها فسلك سبيل ابناء الوارثين المصريين في شراء المركبات الكهربائية ونحوها فجر عليه ذلك ما وقعت فيه بلاد من الويل والثبور. واقد كنا ناصحنا الحكومة منذ ست سنين كما نصح غيرنا من الكاتين بأن تعني قبل كل شيء بتأليف قوة عسكرية منتظمة وبنشر المعارف وان تستعين على هذا بأختها الدولة العثمانية. والناظر يرسل من أول نشأته الى وزير خارجية المغرب الأقصى وغيره من كبراء البلاد ولكن من يقرأ ومن يسمع لنا ولا مالتنا والمفرور بقوته وان وهمة - يرى انه مستغن عن جميع العالمين « ان الانسان ليظن ان رآه استغنى » وكيف ترضى تلك الحكومة الجاهلة ان تستعين بدولة اسلامية أرقى منها وحكام المسلمين قدمزقوا الاسلام وأهله كل ممزق لا جلد شهواتهم التي أعظمها عندهم « خليفة وأمير المؤمنين » فلو ذهبت دول الاسلام والاسلام نفسه فدا لهد هذه الاقواب لما كان ذلك الاقربة

عين للمغورين بها



كتب بعض الكتّاب مقالات في جريدة (الحاضرة) التونسية يصفون فيها أمراض تلك البلاد الراجعة إلى الجهل والتمسك بخرافات الحواري وضاف الحكومة ورأى كاتب جزائري أن تسلم تلك البلاد إلى دولة أوروبية لتصلحها كما أصلحت بلاده (الجزائر) ورد عليه كاتب تونسي بأن هذا اتحار لاعلاج وإن الدواء الحقيقي في التعليم والنظام والقوة وأنه لا يتم هذا لتلك الحكومة إلا بالاستعانة بدولة أوروبية وقال أن فرنسا حق من غيرها لقربها وجوارها . ونحن نقول أنه ليس من مصلحة دولة من أوروبا أن تستولي الآن على مراکش استيلاء تاما بمعنى أن تضمها إلى أملاكها لأن المسلمين في كل بقعة وحيل أشجع الناس وأعصام على الخضوع الأجنبيين ولا طريق إلى إزلالهم وتذليلهم إلا حكمهم وامرأؤهم فهم الذين يتيسر لهم أن يفسدوا بأسهم بالظلم المقبول منهم على الرأس والعين ويذر بذور الترف والسرف والفسق الذي يدمر البلاد، ويهلك العباد، وهذا ثابت بالاختبار والاختبار ، وقد أوردنا في المجلد الرابع ما ورد فيه من الأحاديث والآثار ، أما إذا استعان ساطان مراکش على تمدين بلاده بدولة أوروبية قبل الأخذ بالقوة كما كان يحاول عبدالعزيز فيمكن بذلك أن يستولي الأجانب على تلك البلاد بسعي حكومتها ولكن تلك البلاد لا تزال بدوية لم يذللها الضعف كما ذلل البلاد المصرية محمد علي باشا بسطوة المماليك وظلمهم فتمكن هو وذريته من الاستعانة بالدول الأوروبية على تمدينها هذا التمدين التي كان وسيلة لاحتلالهم فيها وتمكنهم منها . ولهذا لا نظن أن دولة أوروبية تمديدها إلى مراکش بدون واسطة حكامها أنه لم يوجد في هذه القرون التي طغى فيها طوفان أوربا على الشرق حاكم مسلم سلك سبيل الرشاد في سياسة بلاده حفظها أو جعل لها شأنا عالياً إلا عبدالرحمن أمير الأفغان الماضي (تعمده الله برحمته) فإنه سلك الطريقة المثلى التي تسلمها بمن سلكها قبله وهي دولة الروس التي ربي في بلادها . تلك هي طريقة القوات العسكرية المنتظمة ومنع الأجانب من دخول البلاد إلا بأذن خاص إلى أجل معلوم ثم السعي في نشر التعليم وكان يسهل على مراکش أن تحذو حذوه كما يسهل الآن على دولة الفرس (إيران) لاسيما إذا اتفقت معه . وبلاد مراکش أقرب شباهاً ببلاد الأفغان فإن الامتين بدويتين شديديتي البأس لا يعوزهما إلا العلم والنظام . على أن دخول الأوربيين في البلاد بأي صفة دخلوا أقرب إلى النظام والعمران وخير من الحلل والفوضى في الحكومة الأهلية الاستبدادية الجاهلية ولا بد أن يتعلم الأهالي منهم بالتدريج فنون العمران كما نرى في مصر . وكان الأفضل أن يصلحوا أنفسهم بأنفسهم وإمكن حكامهم لا يمكنونهم ولا يصلحونهم ولا بد من عمران الأرض فإن لم يعمرها أهلها عمرها الآخرون ، «ولقد كتبتنا في